

الفصل الأول
عُلُوُّ الهَمَّةِ
في
الدعوة إلى الله

obeikandi.com

□ علو الهمة في الدعوة إلى الله □

قال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] . « الدعوة إلى الله أحسن كلمة تقال في الأرض ، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة ؛ ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات ، فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ .

إن النهوض بواجب الدعوة أمر شاق ، ولكنه شأن عظيم »^(١) .

وهذا الحسن البصري يرصد نفسه في البصرة لبعث همم الناس ، وشرح معنى الإصلاح ، فيتلو على أهل البصرة هذه الآية ثم يقول : « هو المؤمن : أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته . فهذا حبيب الله . هذا ولي الله » .

قال ابن القيم : « مقام الدعوة إلى الله أشرف مقامات التعبد » .

يقول ابن القيم : « فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم ، وهم خلفاء الرسل في أمهم ، والناس تبع لهم ، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه ، وضمن له حفظه وعصمته من الناس . وهكذا المبلغون عنه من أمته ، لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له ، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية ، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثاً ، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نخور العدو ، ولأن ذلك التبليغ يفعلُه كثير من الناس ، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفائهم في أمهم ، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه ، وهم كما قال فيهم عمر بن الخطاب ، في خطبته التي ذكرها ابن وضّاح^(٢) في

(١) الظلال ٣١٢١/٦ بتصرف .

(٢) في « البدع والنهي عنها » لابن وضّاح ص ٣ .

كتاب « الحوادث والبدع » له ، قال : « الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، ويحيون بكتاب الله أهل العمى ، كم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وضال تائه قد هدوه ، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ، يقبلونهم في سالف الدهر وإلى يومنا هذا ، فما نسيهم ربهم ، وما كان ربك نسيا . جعل قصصهم هدى وأخبر عن حسن مقاتلتهم . فلا تقصد عنهم ، فإنهم في منزلة رفيعة ، وإن أصابتهم الوضعية » .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « إن الله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً من أوليائه يذب عنها ، وينطق بعلاماتها ، فاغتنموا حضور تلك المواطن ، وتوكلوا على الله » .

ويكفي في هذا قول النبي ﷺ لعلي ولمعاذ أيضاً : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم »^(١) . وقوله ﷺ : « من دعا إلى هدى فاتبع عليه ، كان له مثل أجر من اتبعه إلى عمله ، إلى يوم القيامة »^(٢) . وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم »^(٣) .

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبُّكَ فَكْبَرُ وَثِيَابُكَ فَطْهَرْ ﴾ [المدثر : ١ - ٤] .

« إنه النداء العلوي الجليل ، للأمر العظيم الثقيل .. نذارة هذه البشرية

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه مسلم والترمذي وأبو داود .

(٣) جلاء الأفهام (٢٤٩ - ٢٥٠) .

وإيقاظها ، وتخليصها من الشر في الدنيا ، ومن النار في الآخرة ، وتوجيهها إلى طريق الخلاص من قبل فوات الأوان ... وهو واجب ثقيل شاق ، حين يناط بفرد من البشر ، مهما يكن نبيا ورسولا ؛ فالبشرية من الضلال والعصيان والتمرد والعتو والعناد والإصرار والالتواء والتفصي من هذا الأمر ، بحيث تجعل من الدعوة أصعب وأثقل ما يكلفه إنسان من المهام في هذا الوجود .

إن كل أحد ، وكل شيء ، وكل قيمة ، وكل حقيقة .. صغير .. والله وحده هو الكبير .

وتتوارى الأجرام والأحجام ، والقوى والقيم ، والأحداث والأحوال ، والمعاني والأشكال ، وتنمحي في ظلال الجلال والكمال لله الواحد الكبير المتعال .

وهو توجيه للرسول ﷺ ليواجه نذارة البشرية ، ومتاعبها وأهوالها وأثقالها ، بهذا التصور ، وبهذا الشعور فيستصغر كل كيد ، وكل قوة ، وكل عقبة ، وهو يستشعر أن ربه الذي دعاه ليقوم بهذه النذارة ، هو الكبير ... ومشاق الدعوة وأهوالها في حاجة دائمة إلى استحضار هذا التصور وهذا الشعور .

وطهارة القلب والخلق والعمل .. طهارة الذات التي تحتوي الثياب ، وكل ما يلم بها أو يمسها هي الحالة المناسبة للتلقي من الملائكة الأعلى ، كما أنها ألصق شيء بطبيعة هذه الرسالة ، وهي بعد هذا وذاك ضرورة لملازمة الإنذار والتبليغ ، ومزاولة الدعوة في وسط التيارات والأهواء والمداخل والدروب ، وما يصاحب هذا ويُلَبَسُه من أدران ومقاذر وأخلاق وشوائب ، تحتاج من الداعية إلى الطهارة الكاملة كي يملك

استنقاذ الملوّثين دون أن يتلوّث ، وملابسة المدنسين من غير أن يتدنس ، وهي لفظة دقيقة عميقة إلى ملابسات الرسالة والدعوة والقيام على هذا الأمر بين شتى الأوساط ، وشتى البيئات ، وشتى الظروف ، وشتى القلوب ^(١) .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ [المذثر : ٦] .

« توجيه إلى إنكار ذاته وعدم المن بما يقدمه من الجهد ، أو استكثاره واستعظامه ، سيقدم الكثير ، وسيبذل الكثير ، وسيلقى الكثير من الجهد والتضحية والعناء . ولكن ربه يريد منه ألا يظل يستعظم ما يقدمه ويستكثره ويمتن به . وهذه الدعوة لا تستقيم في نفس تحس بما تبذل فيها ، فالبذل فيها من الضخامة بحيث لا تحتمله النفس إلا حين تنساه . بل حين لا تستشعره من الأصل ؛ لأنها مستغرقة في الشعور بالله ، شاعرة بأن كل ما يقدمه هو من فضله ومن عطاياه . فهو فضلٌ يمنحها إياه ، وعطاء يختارها له ، ويوفّقها لئيله . وهو اختيار واصطفاء وتكريم يستحق الشكر لله . لا المن والاستكثار » .

﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر ﴾ [المذثر : ٧] .

« الصَّبْر هو الزّاد الأصيل في هذه المعركة الشّاقّة ، معركة الدعوة إلى الله ، المعركة المزروجة مع شهوات النفوس وأهواء القلوب ، ومع أعداء الدعوة الذين تقودهم شياطين الشهوات ، وتدفعهم شياطين الأهواء ! وهي معركة طويلة عنيفة ، لا زاد لها إلا الصبر الذي يُقصد فيه وجه الله ، ويتّجه به إليه احتساباً عنده وحده » .

قال تعالى : ﴿ فِي صَحْفٍ مَكْرَمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مَطَهْرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ

كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس : ١٣ - ١٦] .

« يُبَيِّن الله عز وجل حقيقة هذه الدعوة وكرامتها ، وعظمتها ورفعتها ، واستغنائها عن كلّ أحد ، وعن كل سند ، وعنايتها فقط بمن يريد لها لذاتها

(١) الظلال (٦/ ٣٧٥٤ - ٣٧٥٥) .

كائنًا ما كان وضعه ووزنه في ميدان الدنيا .

الدعوة كريمة في كل اعتبار ... كريمة في صحفها المرفوعة المطهرة .. الموكل بها السُّفراء من الملاء الأعلى ، ينقلونها إلى المختارين في الأرض ليلغوها .. وهم كذلك كرامٌ بررة ، فهي كريمةٌ في كل ما يتعلّق بها ، وما يمَسّها من قريبٍ أو بعيد .

وهي عزيزة لا يُتصدّى بها للمُعرضين الذين يُظهرون الاستغناء عنها ، هي فقط لمن يعرف كرامتها ويطلب التّطهر بها .

هذا هو الميزان ... ميزان الله ... الميزان الذي توزن به القيم والاعتبارات ، ويُقدّر به الناس والأوضاع .. وهذه هي كلمة الله ، الكلمة التي ينتهي إليها كلُّ قولٍ وكلُّ حُكمٍ وكلِّ فصلٍ » .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ .. ﴾ الآية [الجن : ٢٢ - ٢٣] .

« هذه هي القولة الرهيبة ، التي تملأ القلب بجديّة هذا الأمر ... أمر الرسالة والدعوة .. والرسول ﷺ يُؤمّر بإعلان هذه الحقيقة الكبيرة ... إني لن يجيرني من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملجأً أو حماية ، إلا أن أبلغ هذا الأمر ، وأؤدي هذه الأمانة ، فهذا هو الملجأ الوحيد ، وهذه هي الإجارة المأمونة .

يا للرّهة ! ويا للرّوعة ! ويا للجدّ ! .

إنها ليست تطوُّعًا يتقدّم به صاحب الدعوة . إنما هو التكليف ، التكليف الصارم الجازم ، الذي لا مفر من أدائه ، فالله من ورائه ! .

وإنها ليست اللذة الذاتية في حمل الهدى والخير للناس . إنما هو الأمر العلوي الذي لا يمكن التّفلّت عنه ولا التّردّد فيه ! .

وهكذا يتبين أمر الدعوة ويتحدّد ... إنها تكليف وواجب ، وراءه

الهلول ، ووراء الجد ، ووراء الكبير المتعال ! »^(١) .

« إنها رهبة تُفزع المسلم حقًا ، تقذفها تلك التهديدات التي خاطب الله تعالى بها من يصمت ويتخارس . ويظلّ الأخرس قَلَقًا أبدًا ، محرومًا من الطمأنينة والسكينة الإيمانية ، فإنها مكر خالص لأصحاب اللسان الناطق بالحق ، الذين يبشرون الناس بالجنة وينذرونهم عذاب جهنم ، فيرثون النبي ﷺ في ذلك ، كما وصفه الله تعالى بأنه أرسله بشيرًا ونذيرًا . والدعوة إلى التوحيد أسُّ الدعوة ولُبُّها ومُخْطأها ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ . »

« وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب أو مستحب ، من باطن وظاهر ، فمن الدعوة إلى الله : الأمر به . وكل ما أبغضه الله ورسوله ، من باطن وظاهر ، فمن الدعوة إلى الله : التَّهْيِي عنه ... لا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفعل ما أحبه الله ، ويترك ما أبغضه الله ، سواء كان من الأقوال أو الأعمال ، الباطنة أو الظاهرة »^(٢) .

قال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحج: ٦٧] .
وقال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧] .

« وهذه الآيات يدخل فيها المسلمون جميعًا ؛ لأنَّ الأصل في خطاب الله لرسوله ﷺ دخول أُمَّته فيه ، إلا ما استثنى ، وليس من هذا المستثنى أمرُ الله تبارك وتعالى له بالدعوة إليه ، ومعنى ذلك أن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشرفها أن أشركها مع رسوله الكريم في وظيفة الدعوة إليه »^(٣) .

(١) الظلال بتصرف ٣٧٣٦/٦ - ٣٧٣٧ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦٤/١٥ .

(٣) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٢٦٩ .

وقال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ... ﴾ الآية [التوبة : ٧١] .

قال القرطبي : « فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فرقاً بين المؤمنين والمنافقين ، فدلّ على أنّ أخصّ أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورأسها الدُّعاء إلى الإسلام » (١) .

قال ابن تيمية : « الدعوة إلى الله واجبة على من اتّبع النبي ﷺ ، وهم أمته يدعون إلى الله كما دعا إلى الله ، وهذا الواجب واجبٌ على مجموع الأمة ... وهو الذي يُسمّيه العلماء فرض كفاية .. وكل واحدٍ من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يَقم به غيره ، فما قام به غيره سقط عنه ، وما عجز ، لم يُطالب به .

وأما ما لم يَقم به غيره وهو قادرٌ عليه ، فعليه أن يقوم به ، ولهذا يجب على هذا أن يقوم بما لا يجب على ذاك . وقد تقسّطت الدعوة على الأمة بحسب ذلك تارة ، وبحسب غيره أخرى ، فقد يدعو هذا إلى اعتقاد الواجب ، وهذا إلى عمل ظاهر واجب ، وهذا إلى عمل باطن واجب ، فتنوع الدعوة يكون في الوجوب تارة ، وفي الوقوع أخرى » (٢) .

« فالدعوة إلى الخير - وأعلاها الدعوة إلى الله - واجبة على كل مسلم بقدر استطاعته ، والشأن في المسلم : المبادرة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، دون انتظارٍ إلى غيره ، فقد لا يقوم به الغير فيقع في الإثم ... ولو ترك المسلم الدعوة إلى الله تركاً دائماً ، مستمراً متعمداً ؛ فإنه لا ينضوي تحت مفهوم قوله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ... ﴾ الآية [يوسف : ١٠٨] ؛ لأن أتباع الرسول ﷺ هم الذين يدعون إلى الله » .

(١) تفسير القرطبي ٤/٤٧ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/١٦٥ - ١٦٦ .

« وقد يتوهم الكثيرون أنهم قد أُذن لهم بالقعود ، حين قرّر الفقهاء أن الدعوة إلى الله فرضٌ على الكفاية ، ويختارون أنفسهم في الطائفة المتخارسة ، وليس الأمر كما فهموا ؛ فإن معنى القيام بها : حصول الشيء المأمور به في عالم الواقع ، وتطبيقه ، واثّاعظ الطائفة المأمورة فعلاً ، فإذا بقيت الطائفة المأمورة سادرة في غفلتها ، مُتَّبعة لشهوتها ، وإلّة في عصيانها ، بقي جميع المسلمين تحت هذا التكليف ، وعليهم أن يُعينوا الدعاة إلى الله ، الذين يأمرّون بالمعروف ، ويزيدوا قوتهم ، ويكثروا سوادهم ، إلى الدرجة التي يكتسبون فيها الهيبة ، والتأثير الكافي لامتناع الطائفة العاصية - من أفراد الأمة - عن عصيانها ومخالفتها للشرعية ، فإذا امتنعت فعلاً ، لزم وجود عددٍ من الآمرين الدعاة ، يُديمون حالة الامتناع هذه ، وَوَسِعَ البعض الآخر أن يسكنوا ، أمّا قبل ذلك فلا ، ومن يستطلع حالة المسلمين اليوم ، يجد أن الجهود المبذولة في الدعوة إلى الله ، لا زالت أقلّ من المقدار المطلوب لامتناع من يرتكب المعاصي منهم . ورأس المعاصي : الحُكم بغير ما أنزل الله ، وبآراء العقول والأهواء والأفكار المستوردة ، ومن ثمّ فإنه لا يَسَعُ المسلم اليوم أن يقعد عن الدعوة إلى الله »^(١) .

« وشرط الخروج من عهدة الفرض الكفائي : حصول الكفاية بمن يقوم به »^(٢) .

« وللدعوة إلى الخير ، وأعلاها الدعوة إلى الله ، شروطٌ أولها العلم ، ولكن العلم ليس شيئاً واحداً لا يتجزأ ولا يتبعّض ، وإنما هو بطبيعته يتجزأ

(١) المنطلق لمحمد أحمد الراشد ص ٩٤ .

(٢) أصول الدعوة ٢٧٥ .

ويتبعّض ، فمن عِلْم مسألة وجَهِل أخرى ، فهو عالمٌ بالأولى جاهلٌ بالثانية ، ومعنى ذلك أنه يعد من جملة العلماء بالمسألة الأولى ، وبالتالي يتوفّر فيه شرط وجوب الدعوة إلى ما علم دون ما جهل .

إن الأكثرين لا زال الحزن على واقع المسلمين يستهلكهم يوماً بعد يوم ، ولم يعرفوا طريق العمل ، أو عرفوه ومنعهم الخوف من تحمّل التضحيات ، أو منعهم الحرص على المال فانعزلوا في مساجدهم وبيوتهم ليكون الإسلام ، ويتركون الأجيال وجماهير الشباب الساذج لمن يريها من دعاة الإلحاد والعلمانية والشيوعية والوجودية ، ولمن يجرها إلى الفساد والحياة الشهوانية والزنا والخمر والإسراف في اللهو .

وخور عزائم هؤلاء علّه يوقع أبصارهم على صيحات المخلصين على مر الأجيال من لدن عصر الصحابة ، وحثّهم على العمل للإسلام والتبشير به ، ودعوة الخلق ، وتنبيه الجموع الغافلة ، وترك العزلة والتّواري .

إنه حزن قاتل ، وتعبٌ مرجوح ، وعزلة مضيعة ، وبدعة هادمة ^(١) .

عن عامر الشعبي أن رجلاً « خرجوا من الكوفة ، ونزلوا قريباً يتعبّدون ، فبلغ ذلك عبد الله بن مسعود فأتاهاهم ، ففرحوا بمجيئه إليهم ، فقال لهم : ما حملكم على ما صنعتم ؟ قالوا : أحببنا أن نخرج من غمار الناس نتعبّد . فقال عبد الله : لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم ، فمن كان يقاتل العدو ؟ وما أنا ببارحٍ حتى ترجعوا » ^(٢) .

إنها كلمة الحق ، وعنوان الوعي ، وشارة التربية النبوية الكريمة .

(١) المنطلق ١٠٧/١ - ١٠٨ .

(٢) الزهد والرفائق لابن المبارك ص ٣٩٠ .

سيماهم في كلامهم ، مثلما هي في وجوههم .
من يقاتل العدو إذن لو اعتزل العابدون ؟!

من يردّ كيد الصهيونية والماسونية ، والدعاية الشيوعية الإلحادية ، إذا بقي المصلون في مساجدهم لا يضمّون جهودهم إلى جهود دعاة الإسلام ؟! .
وفي سورة العصر كفاية ... سطر واحد في القرآن فيه كفاية وغنى لأصحاب المنهج الصحيح ، قال تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ وهي تعدل ثلث القرآن .

فكلمتان فحسب بيّنتا وجوب الدعوة كانتا ربع ثلث القرآن .
فكل واحد في خسر ، إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان ، وقوته العملية بالعمل بطاعته ، فهذا كمال في نفسه ، ثم كمل غيره بوصيته له بذلك ، وأمره إياه به ، وبملاك ذلك كله ، وهو الصبر ، فكمّل نفسه بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، وكمل غيره بتعليمه إياه ذلك ، ووصيته بالصبر عليه . ولهذا قال الشافعي رحمه الله : « لو فكّر الناس في سورة العصر لكفّتهم »^(١) .

فالله سبحانه « لم يكتف منهم بمعرفة الحق والصبر عليه ، حتى يوصي بعضهم بعضا ويرشده إليه ، ويحثّه عليه ، فإذا كان من عدا هؤلاء ، فهو من الخاسرين »^(٢) .

والداعية مجاهد مهاجر :

قال تعالى : ﴿ فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادًا كبيرًا ﴾ .

[الفرقان : ٥٢] .

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ٣٣/١ .

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ٧٣ .

قال ابن القيم : « ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة ، فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله : ﴿ فلا تطع الكافرين وجاهدوهم به ﴾ أي بالقرآن ﴿ جهادًا كبيرًا ﴾ ، فهذه سورة مكية ، والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة »^(١).

فالدعوة ، والأمر والنهي ، والتواصي نوع من الجهاد .
ثم الداعية بعد ذلك له أجر المهاجرين ، كما قرّر الإمام ابن تيمية في تفسير قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا من بعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ... ﴾ الآية | الأنفال : ٧٥ . فقال : « قالت طائفة من السلف : هذا يدخل فيه مَنْ آمن وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة ، وهكذا قوله تعالى : ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتِنُوا ثم جاهدوا ثم صبروا إن ربك من بعدها لغفورٌ رحيمٌ ﴾ ، يدخل في معناها كل من فتنه الشيطان عن دينه أو أوقعه في معصية ، ثم هجر السيئات ، وجاهد نفسه وغيرها من العدو ، وجاهد المنافقين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك ، وصبر على ما أصابه من قول أو فعل ، والله سبحانه وتعالى أعلم »^(٢).

صلاة الله تعالى ومن في السموات والأرض على معلّم الناس الخير :
عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلّون على معلّم الناس الخير »^(٣).

استمرار ثواب الداعي بعد موته :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات

(١) زاد المعاد لابن القيم ٥٨/٢ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨٤/١٨ .

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣٤٣/٢ رقم (٢١٥٩) .

الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو عِلْم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ^(١) .

للداعي مثل أجور من تبعه :

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ » رواه مسلم .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ دَعَا إِلَى هَدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا » .

دعاء النبي ﷺ لمبلِّغ كلامه إلى غيره :

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ بالخير من منى فقال : « نَصَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا ، فَرَبَّ حَامِلٍ فَقِهِ غَيْرِ فَقِيهِ ، وَرَبَّ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » ^(٢) .

ومن قرأ تراجم الدعوة إلى السُّنَّةِ وَوَصَفَ وَجُوهَهُمْ ، لَكَفَاهُ هَذَا هِمَّةً إِلَى الدَّعْوَةِ إِلَى السُّنَّةِ : محمد بن سيرين ... أيوب السخيتاني ... وكيع بن الجراح ... عبد الغني المقدسي .

ماتوا وَغِيَّبَ فِي التُّرَابِ شَخُوصَهُمْ فَالْتَشَّرَ مَسْكٌ وَالْعِظَامُ رَمِيمٌ

الثواب الجزيل لمن اهتدى على يديه شخص :

روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه ، لما أعطاه الراية يوم خيبر : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله

(١) رواه مسلم .

(٢) صحيح : رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٤٥/١ .

فيه ، فوالله لَأَن يَهْدِي الله بك رجلاً واحداً ، خيرٌ لك من حمر النعم»^(١).

وإليك نماذج من علو الهمة في الدعوة إلى الله عز وجل :

١ - علو همة نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله عز وجل :

وله القدر المثل في ذلك ، قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ [العنكبوت : ١٤] .

لله درّه على عظيم صبره في الدعوة ، مع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم ، « وكان كلما انقرض جيلٌ وصَّوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربتة ومخالفته ، وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه ، وصَّاه فيما بينه وبينه ألا يؤمن بنوح أبداً ما عاش ودائماً ما بقي »^(٢) .

قال تعالى : ﴿ قال ربِّ إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً * فلم يزدتهم دعائي إلا فزاًراً * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً * ثم إني دعوتهم جهاراً * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً * فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفراً * يُرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً * ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ [نوح : ٥ - ١٣] .

قال أبو القاسم الغرناطي : « ذَكَرَ أولاً أنه دعاهم بالليل والنهار ، ثم ذكر أنه دعاهم جهاراً ، ثم ذكر أنه جَمَعَ بين الجهر والإسرار ، وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة »^(٣) .

(١) قيل المراد : خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها ، وقيل : تقتنيها وتملكها ، وكانت مما تتفاخر العرب بها . فتح الباري (٧/٤٧٨) .

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير (٧٤ ، ٧٥) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٢٨٢/٤ .

« قال ابن عطية : الجهار : دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم ، والإسرار دعاء كل واحد على حدته »^(١) .

قال القرطبي : « وكل هذا من نوح عليه السلام مبالغة في الدعاء ، وتلطّف في الاستدعاء »^(٢) .

قال الزمخشري : « قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد ، فافتتح بالمناصحة في السرّ ، فلمّا لم يقبلوا ، ثنى بالجاهرة ، فلمّا لم تُؤثّر ، ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان ، ومعنى « ثم » الدالة على تباعد الأحوال ؛ لأن الجهر أغلظ من الإسرار ، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما »^(٣) .

قال القاسمي : « بَدَل نوح غاية الجهد دائماً بلا فتورٍ ولا توائٍ ، وضاعت عليه الحِيل في تلك المُدَد الطَّوْل »^(٤) .

كفاح نبيل طويل :

سلك نوح إلى آذان قومه وقلوبهم وعقولهم ، شتى الأساليب ومتنوّع الوسائل ، في دأبٍ طويل ، وفي صبرٍ جميل ، وجهدٍ نبيل ، ألف سنةٍ إلاّ خمسين عاماً ... ثم عاد إلى ربّه يقَدِّم حسابه ، ويبثّ شكواه ، في هذا البيان المفصّل وفي هذه اللهجة المؤثرة .

ويحتمل نوح - وهو رسولٌ من أولي العزم - ما يحتمل في سبيل

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٢٨٢/٤ .

(٢) تفسير القرطبي ٣٠١/١٨ .

(٣) الكشف للزمخشري ٦١٦/٤ .

(٤) محاسن التأويل (٢٩٤/٩) . بتصرف .

الدعوة ؛ ما يحتمل من إعراض واستكبار واستهزاء ، ألف سنة إلا خمسين عاماً .. وعَدَد المستجيبين له لا يكاد يزيد ؛ ودرجة الإعراض والإصرار على الضلال ترتفع وتزداد .

وصورة نوح في دعوته ، وهو لا يمل ولا يفتر ولا ييأس أمام الإعراض والإصرار ، صورة لإصرار الداعية على الدعوة ، وتحين كل فرصة ليلبغهم إياها ، وإصرارهم هم على الضلال .. ملامح الطفولة البشرية العنيدة ، من وضع الأصابع في الآذان ، وأذانهم لا تسع أصابعهم كاملة ، ضمناً لعدم تسرب الصوت إليها بتاتاً ، وستر الرؤوس والوجوه بالثياب ، وهي صورة غليظة للإصرار والعناد ، كما أنها صورة بدائية لأطفال البشرية الكبار .

« ولم ينس نوح عليه الصلاة والسلام الدعوة حتى حين حضرته الوفاة ، فقد روى الإمام أحمد ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة ، دعا ابنه فقال : إني قاصرٌ عليكم الوصية . آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين : أنهاكما عن الشرك والكبر . وأمركما بلا إله إلا الله ؛ فإن السموات والأرض وما فيهما لو وُضِعَتْ في كفة الميزان ، ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لكانت أرجح . ولو أن السموات والأرض كانتا حلقةً ، فوضعت لا إله إلا الله عليهما لفصمتهما . وأمركما بسبحان الله وبحمده ، فإنها صلاة كل شيء ، وبها يرزق كل شيء »^(١) .

لقد كانت دعوة نوح صورةً من الجهد الدائب المُلِحّ الثابت المُصّر ، تُعرض على رسولنا ﷺ ، وهو الذي انتهت إليه أمانة دعوة الله في الأرض كلها في آخر الزمان ، واضطلع بأكبر عبءٍ كُلِّفه رسول .. يرى فيها صورة

(١) الحرص على هداية الناس للدكتور فضل إلهي ص ١٢ نشر إدارة ترجمان الإسلام باكستان .

الكفاح النبيل الطويل لأخ له من قبل ، لإقرار حقيقة الإيمان في الأرض .
ويطلع منها على عناد البشرية أمام دعوة الحق .

وتعرض على الجماعة المسلمة في مكة ، وعلى الأمة المسلمة
بعمامة ، وهي الوارثة لدعوة الله في الأرض ... ترى فيها صورة الكفاح
والإصرار والثبات هذا المدى الطويل من أبي البشرية الثاني ، وتُرى المسلمين
قيمة وحقيقة دعوتهم ، وحقيقة نسبهم العريق ! وحقيقة موكبهم المتصل
من مطلع البشرية ، وحقيقة دورهم في إقرار هذه الدعوة والقيام بها ، وهي
منهج الله القويم القديم .

وإن الإنسان ليأخذه الدهش والعجب ، كما تغمره الروعة والخشوع ،
وهو يستعرض هذا الجهد الموصول من الرسل - عليهم صلوات الله
وسلامه - لهداية البشرية الضالة المعاندة ، ويتدبر إرادة الله المستقرة على
إرسال هؤلاء الرسل ، واحداً بعد واحد لهذه البشرية المعرضة العنيدة .
وقد يعنّ للإنسان أن يسأل : ترى تساوي الحصيلة هذا الجهد
الطويل ، وتلك التضحيات النبيلة ، من لدن نوح عليه السلام إلى محمد
عليه الصلاة والسلام ، ثم ما كان بينهما وما تلاهما من جهود المؤمنين
بدعوة الله وتضحياتهم الضخام ، ترى : هل تساوي هذا الجهد الذي وصفه
نوح عليه السلام ، وقد استغرق عمراً طويلاً بالغ الطول ، لم يكتف قومه
فيه بالإعراض ، بل أتبعوه بالسخرية والاتهام ، وهو يتلقاهما بالصبر والحسن ،
والأدب الجميل والبيان المنير ؟!

ثم تلك الجهود الموصولة منذ ذلك التاريخ ، وتلك التضحيات النبيلة
التي لم تنقطع على مدار التاريخ من رسل يستهزأ بهم ، أو يحرقون بالنار ،
أو يُنشرون بالمنشار ، أو يهيجرون الأهل والديار .. حتى تجيء الرسالة
الأخيرة ، فيجهد فيها محمد ﷺ ذلك الجهد المشهود المعروف ، ثم

تتوالى الجهود المُضنية والتضحيات المذهلة من القائمين على دعوته في كل أرض وفي كل جيل ؟؟.

ترى تساوي الحصلة كل هذه الجهود ، وكل هذا الجهاد الشاق المرير !؟.

ثم تُرى هذه البشرية كلها تساوي تلك العناية الكريمة من الله ، المتجلية في استقرار إرادته سبحانه على إرسال الرسل ترى ، بعد العناد والإعراض والإصرار والاستكبار من هذا الخلق الهزيل الصغير المسمى بالإنسان !؟ .

والجواب بعد التدبر : أن : نَعَمْ ... وبلا جدال !!

إن استقرار حقيقة الإيمان بالله في الأرض يساوي كل هذا الجهد ، وكل هذا الصبر ، وكل هذه المشقة ، وكل هذه التضحيات النبيلة المطردة من الرسل وأتباعهم الصادقين في كل جيل !

ولعلَّ استقرار هذه الحقيقة أكبر من وجود الإنسان ذاته ، بل أكبر من الأرض وما عليها ، بل أكبر من هذا الكون الهائل ، الذي لا تبلغ الأرض أن تكون فيه هبَاءً ضائعة لا تكاد تُحَسُّ أو تُرى .

إن استقرار هذه الحقيقة في قلب ، معناه : أن ينطوي هذا القلب على قِسرٍ من آثار نور الله وعلمه ، وأن يكون مستودعاً لسرٍّ من أسرار الله ، وأن يكون أداة من أدوات قَدْره النافذ في هذا الوجود وهي حقيقة أكبر من الإنسان ذاته ومن أرضه وسمائه ، ومن كل هذا الكون الكبير !

كما أن استقرار حقيقة الإيمان في حياة البشر أو جماعةٍ منهم ، معناه : اتّصال هذه الحياة الأرضية بالحياة الأبدية ، وارتفاعها إلى المستوى الذي يؤهلها لهذا الاتصال ... معناه قُرب الفاني من الباقي وجمعيته عليه ... وهي حصلة تُربي على كل جهد وكل تضحية ، ولو تحقّقت على الأرض يوماً أو بعض يوم في عمر البشرية الطويل ؛ لأن تحقّقها -

ولو في هذه الصورة - يرفع أمام البشرية في سائر أجيالها مشعل النور في صورة عملية واقعية ، تجاهد لتبلغ إليها طَوَال الأجيال .

ولقد أثبت الواقع التاريخي المتكرر أن النفس البشرية لم تبلغ إلى آفاق الكمال المقدّر لها بأي وسيلة ، كما بلغت باستقرار حقيقة الإيمان بالله فيها ، وأن الحياة البشرية لم ترتفع إلى هذه الآفاق كما ارتفعت بهذه الوسيلة ، وأن الفترات التي استقرّت فيها هذه الحقيقة في الأرض ، وتسلم أهلها قيادة البشرية ، كانت قَمّة في تاريخ الإنسان سامقة ، بل كانت حلماً أكبر من الخيال ، ولكنه ممثل في واقع يحياه الناس .

هذه هي الدعوة .. فما أُقِرَّت حقيقة الإيمان بالله في الأرض إلا بالدعوة ، وما قامت قلوب تنطوي على حب الله والشوق إليه والقرب منه إلا بالدعوة ، وما قامت حياة إنسانية يتمثل فيها منهج الله للحياة إلا بالدعوة .

والدعوة إلى الله لا بُدَّ أن تمضي في طريقها كما أراد الله ، لأنَّ الحَصيلة تستحق الجهود المضنية والتضحيات النبيلة ، ولو صَغُرَت فانحصرت في قلب واحد ، يقرب من الله ويحبّه ويشتاق إليه ؛ قال ﷺ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ »^(١) .

٢ - خليل الرحمن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ، وعلوّ همتهما في الدعوة إلى الله :

قال تعالى : ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد عن ابن عباس .

الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴿ [البقرة : ١٣٢ - ١٣٣] .

اهتمامات القلب المؤمن وشغله الشاغل وهمُّه الأول ، هو الدعوة إلى العقيدة .. هذه هي القضية التي شغلت بال خليل الرحمن إبراهيم ، ووصَّى بها بنيه ، وشغلت بال حفيده يعقوب في ساعة الاحتضار وفي سكرات الموت .. أمرٌ جَلَل يريد أن يطمئن عليه ويستوثق منه ، تركه يريد أن يخلفها لأبنائه ، ويحرص على سلامة وصولها إليهم ... إنها الدعوة إلى العقيدة .. هي التَّركَة وهي الذَّخر ... وهي القضية الكبرى ، وهي الشُّغل الشاغل والأمر الجلل ، الذي لا تشغل عنه سكرات الموت وصرعائه .

قال الفخر الرازي في تفسير الآية الثانية من الآيتين : « الآية دالَّة على أن شفقة الأنبياء - عليهم السلام - على أولادهم كانت في باب الدين ، وهمَّتهم مصروفة إليه دون غيره »^(١) .

٣ - دعوة يوسف عليه السلام إلى الله تعالى وهو في السجن :

قال تعالى : ﴿ ودخل معه السجنَ فتيانٍ قال أحدهما لبيّ أراي أعصر خمراً وقال الآخر لبيّ أراي أحمل فوق رأسي حُجْراً تأكل الطيرُ منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين * قال لا يأتيكما طعامٌ تُرزقانه إلا نبأكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذالكما ممّا علّمني ربي إني تركتُ ملّة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعْتُ ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون * يا صاحبي السجن أأرباب متفرّقون خيرٌ أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماءٌ سمّيتُوها أنتم

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٧٥/٤ .

وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ [يوسف : ٣٦ - ٤٠] .
ما أروع القيام بهذه المهمة الجليلة ، في تلك الأحوال الصعبة والظروف العسيرة ! فهو في السجن وظلماته ، مع الظلم وظلماته ، لا يغفل عن الدعوة لدينه ، ولعقيدته ، في كياسة وتلطّف ، مع الحزم ، وفي إدراكٍ لطبيعة البيئة ومداخل النفوس فيها ، كما أنه لا يغفل عن حُسن تمثيله بشخصه وأدبه وسلوكه لدينه هذا الذي يدعو إليه في سجنه .

٤ - حرص مؤمن يسّ على إيمان قومه :

قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتُخَذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةٌ إِنْ يُرَدِّدِ الرَّحْمَنُ بَضْرًا لَا تَغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَذُونَ * إني إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إني آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُون * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي ربي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يسّ : ٢٠ - ٢٧] .

هذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعدما رأى فيها من دلائل الحق ، وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحرّكت هذه الحقيقة في ضميره ، فلم يطق عليها سُكُوتًا ، ولم يقبّع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور ، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره ، وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق : ﴿ اتَّبِعُوا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ ﴾ .

إن الذي يدعو مثل هذه الدعوة ، وهو لا يطلب أجرًا ولا يبتغي مغنمًا .. إنه لصادق . وإلا فما الذي يحمله على هذا العناء ، إن لم يكن يلبي تكليفًا من الله ؟! ما الذي يدفعه إلى حمل همّ الدعوة ، ومجابهة الناس

بغير ما ألفوا من العقيدة؟! والتعرض لأذاهم وشهرهم واستهزائهم وتنكيلهم ، وهو لا يجني من ذلك كسباً ، ولا يطلب أجراً .

﴿إني آمنت بربكم فاسمعون﴾ هكذا ألقى بكلمة الإيمان الواثقة المطمئنة ، وأشهدهم عليها ، وهو يُوحى إليهم أن يقولوها كما قالها .
وقتلوه ووطئوه بأرجلهم ... وأدّخر الله لهذا الشهيد الكرامة ...
كرامة تليق بمقام المؤمن الشجاع المخلص .

ويذكر الشهيد الداعية طيب القلب رضي النفس قومه ، بعدما اطلع على ما آتاه الله في الجنة من المغفرة والكرامة .. وتمنى أن يعلم قومه مصيره ليصيروا من المؤمنين ، فما أشد وأعمق حرصه على هداية قومه : لم يتخل عنهم حتى بعد قتلهم له .

« قال ابن عباس رضي الله عنهما : نصح قومه في حياته بقوله :
﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ ، وبعد مماته في قوله : ﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ »^(١).

قال ابن كثير : « ومراده : أنهم لو أطلعوا على ما حصل لي من النعيم المقيم والثواب العظيم ، لقادهم ذلك إلى اتباع الرُّسل ، فرحمه الله ورضي عنه ، كم كان حريصاً على هداية قومه »^(٢).

ما سمعنا بداعية يدعو إلى الله بعد موته إلا مؤمن يس .

٥ - علو همة موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله عز وجل :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
« عُرِضْتُ عَلَى الْأُمَمِ ، فرأيت النبي ومعه الرَّهْطُ ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، إذ رُفِعَ لي سوادٌ عظيم ، فظننتُ أنهم

(١) ، (٢) مختصر تفسير ابن كثير لمحمد نسيب الرفاعي ٥٦٦/٣ طبع المكتب الإسلامي .

أُمِّي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : انظر إلى الأفق الآخر ، فإذا سواد عظيم : فقيل لي : هذه أُمَّتُكَ الحديث^(١) .

وفي حديث مالك بن صعصعة في الإسراء : « ... فلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى قَالَ : هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى . قِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : أَبْكِي لِأَنِّ غَلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي »^(٢) .

وفي رواية شريك عن أنس : « لَمْ أَظُنْ أَحَدًا يُرْفَعُ عَلَيَّ » .
وفي حديث أبي سعيد : « قَالَ مُوسَى : يَزْعُمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنِّي أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ ، وَهَذَا أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنِّي » .

وزاد الأموي في روايته : « وَلَوْ كَانَ هَذَا وَحْدَهُ هَانَ عَلَيَّ ، وَلَكِنْ مَعَهُ أُمَّتُهُ ، وَهُمْ أَفْضَلُ الْأُمَمِ عِنْدَ اللَّهِ » .

هذا والله بكاء الرجال .. لم يكتف بالندم والحسرة بل بكى ، فقد كان يتمنى أن يكون أسبق من النبي ﷺ في كثرة الأتباع ، حتى يكون رصيده يوم القيامة أعظم رصيد ، بكى « أَسْفًا عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الْأَجْرِ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ ؛ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ مِنْ أُمَّتِهِ مَعَ كَثْرَةِ الْمُخَالَفَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لَتَنْقِصَ أَجُورَهُمْ ، الْمُسْتَلْزِمِ لَتَنْقِصَ أَجْرَهُ ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِثْلَ أَجْرِ كُلِّ مَنْ اتَّبَعَهُ ، وَلِهَذَا كَانَ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ فِي الْعِدَدِ ، دُونَ مَنْ اتَّبَعَ نَبِيَّنَا ﷺ ، مَعَ طُولِ مَدَّتِهِمْ بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ »^(٣) .

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد .

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج . انظر فتح الباري ٧/

٢٤١ - ٢٤٢ ، ٢٥١ .

(٣) فتح الباري ٧/٢٥٢ .

ولا يعني البكاء تقصير موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى ، بل هو دليلُ حُرقة القلب الذي يسعى للكمال دائماً . وإن « لموسى عليه السلام » منزلة عند ربه ، وخصوصاً في همته الدعوية ، حتى غفر الله له ما غفر بسبب همته الدعوية ، كما قرر ابن تيمية رحمه الله فيما يرويه عنه ابن قيم الجوزية قال :

« انظر إلى موسى عليه السلام ، رمى الألواح فيها كلام الله الذي كتبه بيده فكسرها ، وجرَّ بلحية نبيِّ مثله ، ولطمَ عينَ ملك الموت ففقاها ، وعاتب ربه ليلة الإسراء في محمد ﷺ ، ورثه يحتملُ له ذلك كله ، ويُجِبُّه ويُكرِّمه لأنه قام الله تلك المقامات العظيمة في مُقابلة أعدى عدُوِّ له ، وصَدَّعَ بأمره ، وعالج أُمَّة القبط وبني إسرائيل ، فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر ، وانظر إلى يونس - عليه السلام - حيث لم يكن له هذه المقامات التي لموسى ، غاضب ربه مرةً ، فأخذه وسجنه في بطن الحوت ، ولم يحتمل له ما احتمل لموسى »^(١).

٦ - علو همّة نبينا ﷺ في الدعوة إلى الله :

وأعلى الهمة همّة نبينا ﷺ ... بأبي هو وأمي ﷺ ، كان حرصه أشدَّ الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم :

قال تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف : ١٠٣] . وقوله تعالى : ﴿ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضلّ وما لهم من ناصرين ﴾ [النحل : ٢٧] . بل كاد يموت غمًّا وأسفاً عليهم ، قال تعالى : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ﴾ [فاطر : ٨] ، وقال تعالى : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا

بهذا الحديث أسفًا ﴿ [الكهف: ٦] ، والبئع : قتل النفس غمًا ، كما قال الراغب الأصفهاني في « المفردات في غريب القرآن » .

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلي ومثلكم كمثّل رجل أوقد نارًا ، فجعل الجنّادبُ والفَراشُ يقعن فيها ، وهو يذُبّهن عنها ، وأنا آخذ بحُجَزكم عن النار ، وأنتم تَقْلَتون من يدي » (١) .

لقد دعا في جميع الأماكن والأزمان والأحوال ، ودعا جميع أصناف الناس ، واستخدم جميع الأساليب المشروعة .

دعا فوق الجبل ، وفي المسجد ، وفي الطريق ، والسوق ، وفي منازل الناس في المواسم ، وحتى في المقبرة، ودعا في الحضر والسفر ، وفي الأمن والقتال ، في صحته ومرضه ، وحينما كان يزور أو يُزار .

دعا مَنْ أَحَبَّوه ، ومن أَبْغَضَوه ، وآذَوْه ، ومن استمعوا إلى دعوته ومن أَعْرَضُوا عنها .

وَبَعَثَ الرسائل والرسل إلى الملوك والرؤساء ، ممن لم يتمكن من الذهاب إليهم بنفسه .

أ - صعوده ﷺ على الصفا للدعوة إلى الله تعالى :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي : « يا بني فهر ! يا بني عدي ! » لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج ، أرسل رسولًا ينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال ﷺ : « أَرَأَيْتُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي ، تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي ؟ » . قالوا : نعم ، ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صَدَقًا .

قال : « فإني نذيرٌ لَكُمْ بين يَدَي عذابٍ شديدٍ » . فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعْتنا ؟ فترلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾^(١) .

ب - قيامه بالدعوة في الطريق :

وكان يدعو في الطريق أيضًا :

عن عبد الله بن عباس ، أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً ، فقال له الرسول ﷺ : « يا غلام ! إني مُعَلِّمُكَ كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فلتسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضرّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك . رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجُفَّتِ الصُّحُفُ »^(٢) .

وتعلّمه أيضًا لمعاذٍ في الطريق :

عن معاذٍ رضي الله عنه قال : كنت رَدُفُ النبي ﷺ على حمارٍ يُقال له : عُفَيْرٌ ، فقال : « يا معاذ ! هل تدري ما حقُّ الله على عباده ؟ وما حقُّ العباد على الله ؟ » . قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإن حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحقُّ العباد على الله أن لا يُعَذِّبَ من لا يشرك به شيئاً » . فقلت : يا رسول الله ، ! أفلا أُبَشِّرُ به الناس ؟ قال : « لا تبشّرهم فيتكَلِّموا »^(٣) .

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ حديث رقم (٤٧٧٠) .

(٢) رواه أحمد في مسنده ٢٣٣/٤ . وقال الشيخ أحمد محمد شاكر : إسناده صحيح .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب اسم الفرس والحمار . رقم الحديث (٢٨٥٦) . فتح الباري ٥٨/٦ .

ج - قيامه بالدعوة في سوق ذي الحجاز :

روى أحمد عن رجل من بني مالك بن كنانة ، قال : « رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي الحجاز يتخللها يقول : « يا أيها الناس ، قولوا : لا إله إلا الله ثفلحوا » . قال : وأبو جهل يحنى عليه التراب ويقول : لا يغوينكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد لتتركوا أهتكم وتتركوا اللات والعزى . وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ » ^(١) .

د - ذهابه إلى منازل الناس بمنى للدعوة :

ومن إتيانه ﷺ الناس في أماكنهم للدعوة إلى الله تعالى أنه كان يأتي منازل الناس بمنى في الموسم .

عن ربيعة بن عباد الدؤلي قال : رأيت رسول الله ﷺ بمنى في منازلهم ، قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول : « يا أيها الناس ، إن الله أمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً » . قال : ووراءه رجل يقول : يا أيها الناس ، إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم » . فسألت عن هذا الرجل ، قيل : أبو لهب ^(٢) .

ولا يظن أحد أن ذهابه ﷺ للدعوة إلى الله تعالى في الأسواق ومنى ، كان أمراً نادراً ، أو كان في موسم واحد ، بل استمر ﷺ على ذلك لمدة عشر سنوات .

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ لبث

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١/٦ كتاب المغازي والسير : باب تبليغ النبي ﷺ ما أرسل به : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ١٥/١ وصححه ووافقه الذهبي ، وقال : على شرطهما . ١٤/١ .

عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجّنة وعكاظ ومنازلهم في مني. يقول: «من يؤويني؟ ومن ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة؟». فلا يجد أحداً ينصره ولا يؤويه، حتى إنّ الرجل يرحل من مصر أو اليمن إلى ذي رَحِمِه، فيأتيه قومه فيقولون له: احذر غلام قريش لا يفتنك. ويمشي صلى الله عليه وسلم بين رجالهم يدعوهم إلى الله عز وجل، ويشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله من يثرب، فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويُقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دُور الأنصار إلّا وفيها رَهْط من المسلمين يُظهرون الإسلام. وبعثنا الله إليه فائتمروا واجتمعوا وقلنا: حتى متى رسول الله يُطرد في جبال مكة ويخاف؟! حتى قدمنا عليه في الموسم، فواعدنا بيعة العقبة^(١).

هـ - رجاءه صلى الله عليه وسلم الهداية لأجيال من آذوه أشدّ الأذى :

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : «هل أتى عليك يومٌ كان أشد من يوم أُحد؟ قال: «لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يُجِبني إلى ما أردت فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الثعالب^(٢)، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّنتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال؛

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٦٢٤/٢، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه أحمد في

المسند، وقال ابن كثير: هذا إسناد جيد على شرط مسلم.

(٢) أي لم أفطن لنفسي وأتنبّه لحالي، وللموضع الذي أنا ذاهبٌ إليه وفيه، إلّا وأنا عند قرن الثعالب لكثرة همي الذي كنت فيه. «وقرن الثعالب: قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد». شرح النووي ١٥٥/١٢.

لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال : يا محمد . فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ^(١) . فقال النبي ﷺ : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً » .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ... ينطلق مهمومًا فلا يُفِيق إلا بقرن الثعالب ... أبعد هذا حرصٌ على الناس ، وعلو همة في الدعوة ، من يفعل هذا سواه ، لقد اختلطت الدعوة بلحمه ودمه ، وشغلته عن كل شيء سواه .. كيف لا وهو الخليل :

قد تَخَلَّلتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وبذا سُمِّيَ الخليلَ خليلًا
تَخَلَّلَ حُبُّ مَوْلَاهُ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنْهُ .. فما أَشَدَّ حِرْصَهُ على الدعوة إليه ! وما أنوره وأجمله وأبهاه ! فمن يحمل همَّ الدعوة يا من تسيرون على سنته ؟! يرجو هداية أجيال قادمة لمن آذوه ، إن لم يهتدوا هم ، بدلًا من تدميرهم وهلاكهم على يد مَلَكٍ مرسل من الله .

و - ذهابه إلى الطائف ماشيًا دعوة إلى الله ، وتحمله الأذى من أهلها :
عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال : مات أبو طالب ، وازداد من البلاء على رسول الله ﷺ شدة ، فعمد إلى ثقيف يرجو أن يؤوه وينصروه ، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف ، وهم إخوة : عبد ياليل بن عمرو ، وحبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، فعرض عليهم نفسه ، وشكا إليهم البلاء وما انتك قومه منه ، فقال أحدهم : أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط ، وقال الآخر : والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبدًا ؛ لكن كنت رسولًا ، لأنت أعظم شرفًا وحقًا من أن أكلمك ؛ وقال الآخر : أعجز الله أن يرسل غيرك ؟ وأفشوا ذلك في

(١) هما جبلا مكة : أبو قبيس والجبل الذي يقابله .

ثقيف الذي قال لهم ، واجتمعوا يستهزئون برسول الله ﷺ وقعدوا له صفتين على طريقه ، فأخذوا بأيديهم الحجارة ، فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلا أرضخوها بالحجارة ، وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون ، فلما خلص من صفتهم وقدماه تسيلان الدماء ، عمد إلى حائط من كرومهم ، فأتى ظل حبله من الكرم ، فجلس في أصلها مكروبا موجعا ، تسيل قدماه الدماء ، فإذا في الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما ؛ لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله ، وبه الذي به ، فأرسلا إليه غلامهما عداسا بعنب ، وهو نصراني من أهل نينوى . فلما أتاه وضع العنب بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ : « بسم الله » . فعجب عداس ؛ فقال له رسول الله ﷺ : « من أي أرض أنت يا عداس ؟ » . قال : أنا من أهل نينوى . فقال النبي ﷺ : « من أهل مدينة الرجل الصالح يونس ابن متى ؟ » فقال له عداس : وما يدريك من يونس بن متى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس ما عرف ، وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحدا يبلغه رسالات الله تعالى . قال : يا رسول الله ، أخبرني خبر يونس ابن متى . فلما أخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس بن متى ما أوحى الله إليه من شأنه ، خر ساجدا لرسول الله ﷺ ، ثم جعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء . فلما أبصر عتبة وأخوه شيبة ما فعل غلامهما سكتا . فلما اتاهما قالا له : ما شأنك ؛ سجدت لمحمد وقبلت قدميه ، ولم نرك فعلت هذا بأحد منا ؟! قال : هذا رجل صالح ، حدثني عن أشياء عرفتها من شأن رسول بعثه الله تعالى إلينا يدعى يونس بن متى ، فأخبرني أنه رسول الله ﷺ ؛ فضحكا وقالا : لا يفتنك عن نصرانيتك ، إنه رجل يخدع . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة^(١) .

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني ص ١٠٣ .

بأبي أنت وأمي يا سيّد الدعاة ... تخرج إلى ثقيف ماشياً ، وتعرض للإسلام على كبار القوم من أهل ثقيف ، وبهم من السفالة والوقاحة ما الله به عليم ، وتعرض لسخرية ثقيف ، وتسيل الدماء من قدميك الشريفتين ، ويبلغ بك العناء ما يجعل أشد الناس عداوةً لك يُشفق عليك ... ومع هذا بمجرد ما تحين الفرصة لدعوة عداس إلى الله إلّا وتدعوه ، فمن أحقّ منك بهذا الشجر ! وقد تغلغل حبّ مولاك ، والدعوة إليه في كل قطرة دم منك ، وفي كل نبضة من قلبك الطاهر :

والله ما طلعت شمس ولا غربت إلّا وحُبُّك مقرونٌ بأنفاسي
ولا جلستُ إلى قومٍ أُحدّثهم إلّا وأنت حديثي بين جُلّاسي

ز - دعوته ﷺ إلى الله في السفر وفي طريق الهجرة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ : « أين تريد ؟ » قال : إلى أهلي . قال : « هل لك إلى خير » . قال : ما هو ؟ قال : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله » . قال : هل من شاهدٍ على ما تقول ؟ قال : « هذه الشجرة » . فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي ، فأقبلت تَحْدُ الأرض خدّاً ، فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً ، فشهدت أنه كما قال . ثم إنها رجعت إلى منبتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه فقال : إن يتبعوني أتيتك بهم ، وإلا رجعت إليك وكنتُ معك^(١) .

وأخرج ابن سعد ، عن عاصم الأسلمي قال : لما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، فانتهى إلى الغميم ، أتاه بريدة بن الحصيبي ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم هو ومن معه - وكانوا زهاء ثمانين بيتاً -

فصلى رسول الله ﷺ العشاء فصلوا خلفه .
حتى وهو مطاردٌ يتربص به الأعداء .. وكل ثانية من وقته تُقربهم
من إدراكه، ولكن الدعوة هي الدعوة.

ح - انطلاقه ﷺ لدعوة رأس المنافقين عبد الله بن أبي :
لم يكن خروجه ﷺ للدعوة إلى منازل الناس ومجالسهم في المرحلة
المكية فقط ، بل استمرَّ على ذلك حتى بعد هجرته إلى المدينة المنورة .
فعن أنس رضي الله عنه قال : قيل للنبي ﷺ : لو أتيت عبد الله
ابن أبي . فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً ، فانطلق المسلمون يمشون
معه ، وهي أرض سبخة^(١) ، فلما أتاه النبي ﷺ قال : إليك عني ، والله
لقد آذاني تنن حمارك . فقال رجل من الأنصار منهم : والله لحمار رسول الله
أطيب ريحاً منك^(٢) .

قال النووي في شرح مسلم ١٥٩/١٢ : « وفي هذا الحديث ما كان
عليه النبي ﷺ من الحلم والصفح والصبر على الأذى في الله ، ودوام الدعاء
إلى الله تعالى » .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ مرَّ بمجلس فيه
أخلاق من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود ، فيهم عبد الله بن أبي ،
وفي المجلس عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، فلما غشيت المجلس عَجَاجَةُ
الدَّابَّةِ^(٣) خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ، ثم قال : لا تغيروا علينا . فسلم
عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل ، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ،

(١) السَّبخة : هي الأرض التي لا تثبت للملوحه أرضها .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس
٢٩٧/٥ - ٢٦٩١ . ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب

في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين .

(٣) ما ارتفع من غبار حوافرها .

فقال عبد الله بن أبي : أيها المرء ! لا أحسن من هذا . إن كان ما تقول حقاً ، فلا تؤذنا في مجالسنا . وارجع إلى أهلِكَ ، فمن جاءك فأقصص عليه . فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : اغشنا في مجالسنا فإننا نحب ذلك^(١) .

ط - مجيئه ﷺ للدعوة إلى بيت كبير اليهود :

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « انطلقوا إلى يهود » . فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدارس^(٢) ، فقام النبي ﷺ فناداهم : « يا معشر يهود ، أسلموا تسلموا » . فقالوا : بلغت يا أبا القاسم . فقال : « ذلك أريد » . ثم قالها الثانية . فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم . ثم قال الثالثة . فقال : « اعلموا أن الأرض لله ولرسوله ، وإني أريد أن أجليكم ، فمن وجد بماله شيئاً فليبعه ، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ولرسوله »^(٣) .

ي - دعوته وعيادته للمرضى :

لم يكن اهتمامه عليه الصلاة والسلام منصباً على دعوة كبار الناس فحسب ، بل اعتنى عناية شديدة بدعوة عامة الناس .

فقد روى الإمام البخاري ، عن أنس رضي الله عنه قال : كان غلامٌ يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض ، فأتاه النبي ﷺ ، فعُوده ، فقعد عند رأسه ،

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين .

(٢) المدارس : المراد به كبير اليهود . ونسب البيت إليه لأنه هو الذي كان صاحب دراسة كتبهم ، أي قراءتها . فتح الباري (٣١٨/١٢) .

(٣) صحيح البخاري - كتاب الإكراه ، باب في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره . رقم الحديث (٦٩٤٤) ٣١٧/١٢ .

فقال له : « أسلم » . فنظر إلى أبيه ، وهو عنده ، فقال له : أطع أبا القاسم ، ﷺ فأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار » ^(١) .

ك - دعوته لمُحبِّيه :

ومن أمثلة حرصه على إنقاذ مَنْ أحبه - عليه الصلاة والسلام - من النار : أنه دعا عمّه أبا طالب إلى قول : « لا إله إلا الله » واستمرّ في دعوته هذه ، حتى عند حضور وقت وفاة عمه .

روى البخاري عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه أنه أخبره : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله ﷺ ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة . قال رسول الله ﷺ لأبي طالب : « يا عمّ ، قل : لا إله إلا الله . كلمة أشهد لك عند الله » . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول : لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ : أما والله لأستغفرنّ لك ما لم أُنّه عنك » . فأنزل الله فيه : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ... ﴾ ^(٢) الآية [التوبة : ١١٣] .

ل - دعوته ﷺ لمن كانوا يُغضونه :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً

(١) صحيح البخاري ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلّى عليه ؟ وهل يُعرض

على الصبي الإسلام . ٢١٩/٣ - رقم الحديث (١٣٥٦) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله

إلا الله . ٢٢٢/٣ - (١٣٦٠) .

حتى يدعوهم^(١).

م - دعوته ﷺ لمن جاء يريد قتله :

عن جابر رضي الله عنه قال : كنّا مع النبي ﷺ بذات الرّقاع ، فإذا أتينا على شجرةٍ ظليّةٍ تركناها للنبي ﷺ ، فجاء رجلٌ من المشركين وسيف النبي ﷺ معلقٌ بالشجرة ، فاختَرَطَهُ ، فقال له : تخافني ؟ فقال له : « لا » . قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : « الله »^(٢).

وفي رواية لأبي بكر الإسماعيلي في صحيحه : فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ السيف ، فقال : « من يمنعك مني ؟ » . قال : كن خير آخذ . فقال : « أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ » . قال : لا ، ولكنني أعاهدك على أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قومٍ يُقاتلونك . فخلّى سبيله ، فأتى أصحابه ، فقال : « جئْتُكم من عند خير الناس »^(٣).

ن - إرساله ﷺ الرّسائل إلى الملوك والأمراء :

عن أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي ، وإلى كل جبارٍ ، يدعوهم إلى الإسلام ، وليس بالنجاشي الذي صلّى عليه النبي ﷺ . رواه مسلم .

قال ابن حجر : « روى الطبراني من حديث المسور بن مخرمة - رضي الله عنه - قال : خرج رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال : « إن الله بعثني للناس كافّةً ، فأدّوا عني ولا تختلفوا عليّ » . فبعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى ، وسليط بن عمرو إلى هوزة بن عليّ باليمامة ، والعلاء الحضرميّ

(١) رواه أحمد في مسنده . وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ٣/٣٣٥ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع .

(٣) مشكاة المصابيح - باب التوكل والصبر - الفصل الثالث .

إلى المنذر بن ساوى بهَجَرَ ، وعمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعباد ابني الجُلَنْدَى بَعْمَان ، ودِحْيَةَ إلى قَيْصَر ، وشَجَاعَ بن وهب إلى أبي شَمْر الغَسَّانِي ، وعمرو بن أُمَيَّة إلى النجاشي . فرجعوا جميعاً قبل وفاة النبي ﷺ غير عمرو بن العاص «^(١)» . اهـ .

وقال ابن حجر أيضاً : « وزاد أصحاب السَّير : أنه بعث المهاجر بن أبي أُمَيَّة بن الحارث بن عبد كُلال وجريراً إلى ذي الكَلَّاع ، والسائب إلى مسيلمة ، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس »^(٢) .

س - دعوته عند القبر :

عنون البخاريُّ باباً في صحيحه وسمَّاه « موعظة المحدث عند القبر ووقعود أصحابه عنده » .

عن عليّ رضي الله عنه قال : كنا في جنازةٍ في بقيع الغرقد ، فأتانا النبي ﷺ فقعد ، وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة ، فنكس ، فجعل ينكت بمخصرته ، ثم قال : « ما منكم من أحدٍ ، ما من نفسٍ منفوسةٍ إلا كُتِبَ مكانُها من الجنة والنار ، وإلا قد كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أو سعيدة » . فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا ونَدْعُ العمل ، فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، وأمّا من كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ؟ قال : « أمّا أهل السعادة فيُيسِّرون لعمل السعادة ، وأمّا أهل الشقاوة فييسِّرون لعمل الشقاوة » . ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾^(٣) الآية . [الليل : ٥] .

(١) فتح الباري ١٢٧/٨ - ١٢٨ ، زاد المعاد ٣٠/١ - ٣١ .

(٢) فتح الباري ١٢٨/٨ .

(٣) فتح الباري ٢٢٥/٣ .

ع - قيامه بالدعوة ﷺ وهو في مرض الموت :

وحتى في مرض الموت ما فترت همته عن الدعوة إلى الله عز وجل ،
وهداية الناس وإرشادهم :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان على رسول الله ﷺ خميسة سوداء حين اشتد به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : « قاتل الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يُحرّم ذلك على أمته^(١) .

ف - قيامه ﷺ بالدعوة وهو يُغرغر بنفسه :

بقي ﷺ مناراً للدعاة ، حريصاً على هداية الناس ، حتى وهو يغرغر بنفسه :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة ، وهو يغرغر بنفسه : « الصلاة وما ملكت أيمانكم »^(٢) . واستمر يدعو ويوصي حتى لم يبق لسانه المطهر قادراً على تبينها : فعن أم سلمة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفي فيه : « الصلاة ، وما ملكت أيمانكم » . فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه^(٣) .

(١) رواه أحمد في مسنده ، ورواه البخاري في صحيحه مختصراً : كتاب الجنائز - باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ٢٠٠/٣ .

(٢) سنن ابن ماجه - أبواب الوصايا ، باب : وهل أوصى رسول الله ﷺ . قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٩٥/٢ : إسناده حسن ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢١٨٣ .

(٣) صحيح : رواه ابن ماجه في سننه ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم ١٣١٧ - ٢٧١/١ .

بأبي هو وأمي ﷺ ، ما أعلى همته في الدعوة إلى الله التي جرت في جسده مجرى الدم .. بل قام بها وهو ينتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية حيث الرفيق الأعلى . وعلى طريقه ﷺ في الدعوة وبذل الجهد فيها ، سار صحابته الكرام وأمته .

الصدّيق رضي الله عنه أول خطيب في الإسلام :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لمّا اجتمع أصحابُ النبي ﷺ ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ، ألحّ أبو بكرٍ على رسول الله ﷺ في الظهور ، فقال : « يا أبا بكر ، إنا قليل » . فلم يزل أبو بكرٍ يلحّ حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد ، كل رجلٍ في عشيرته ؛ وقام أبو بكرٍ في الناس خطيباً ، ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ ، وثار المشركون على أبي بكرٍ وعلى المسلمين ، فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووطّئ أبو بكرٍ ، وضرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسق عُتبة بن ربيعة ، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ، ويحرّفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكرٍ ، وحملت بنو تميم أبا بكرٍ في ثوبٍ حتى أدخلوه منزله ، ولا يشكّون في موته ، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد ، وقالوا : والله لئن مات أبو بكرٍ ، لنقتلنّ عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبي بكرٍ ، فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكرٍ حتى أجاب ، فتكلّم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فمسّوا منه بألسنتهم وعدلوه ، ثم قاموا وقالوا لأُمّه أمّ الخير : انظري أن تُطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ، فلمّا خلت به ألحّت عليه ، وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله ما لي علّم بصاحبك . فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل ، فقالت : إن أبا بكرٍ يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت : ما أعرف

أبا بكرٍ ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحيِّين أن أذهب معك إلى ابنك . قالت : نعم ، فمضتُ معها حتى وجدت أبا بكرٍ صريعاً ذَنُفًا^(١)؛ فدنْتُ أُمَّ جَمِيلٍ وأعلَنْتُ بالصِّيَاحِ وقالت : والله إن قومًا نالوا هذا منك لأَهْلُ فسقٍ وكُفْرٍ ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : هذه أُمُّكَ تسمع . قال : فلا شيء عليكِ منها . قالت : سالمٌ صالحٌ . قال : أين هو ؟ قالت : في دار ابن الأرقم . قال : فإن الله عليَّ أن لا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا ، أو آتي رسول الله ﷺ . فأمهلتا حتى إذا هدأتِ الرُّجُلُ وسكن الناسُ ، خرجتا به يتكىء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ . قال : فأكبَّ عليه رسول الله فقَبَلَهُ ، وأكَبَّ عليه المسلمون ، ورقَّ له رسول الله ﷺ رَقَّةً شديدة . فقال أبو بكر : بأبي وأمي يا رسول الله ، ليس بي بأسٌ إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أُمِّي بَرَّةٌ بولدها ، وأنت مباركٌ فاذعها إلى الله وادعُ الله لها ، عسى أن يستنقذها بك من النار . قال : فدعا لها رسول الله ﷺ ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمتُ ، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهرًا ، وهم تسعة وثلاثون رجلًا^(٢) .

يا دعاة الإسلام : هذا هو الصديق - رضي الله عنه - يدعو إلى الله ، فيُضْرَبُ بالنعال ، ما يصدُّه ذلك عن الدعوة .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرَّةً حتى غُشي عليه ، فقام أبو بكرٍ رضي الله عنه فجعل يُنادي : ويلكم ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ فقالوا : من هذا ؟ فقالوا : أبو بكر

(١) الدَّنِف : هو المريض الذي لزمه المرض .

(٢) رواه الحافظ أبو الحسن الأضرابلسي . انظر حياة الصحابة للكاندهلوي ١/

الجنون^(١) .

وزاد البزار : فتركوه وأقبلوا على أبي بكر .

الصّدِّيق الذي سمّاه الله في السماء صديقاً ، يُسمّيه المشركون الجنون ، وهو يدعو إلى الله !! ولكنّها الدعوة والصبر عليها وعلو الهمة فيها .
« قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر - رضي الله عنه - وأظهر إسلامه ، دعا إلى الله عز وجل ، وكان أبو بكر رجلاً مألُفاً لقومه محباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خيرٍ وشرٍّ ، وكان رجلاً تاجراً ذا خليقٍ ومعروفٍ ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحدٍ من الأمر ؛ لِعِلْمِهِ وتجارته وحُسن مُجالسته ، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ، ممّن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه - فيما بلغني - الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، رضي الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر ، فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الإسلام ، فأمنوا . وكان هؤلاء النفر الذين سبقوا في الإسلام صدقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله »^(٢) .
فله دُرُّ الصديق الداعية الذي أسلم على يديه خمسة من العشرة المبشرين بالجنة .

روى البخاري عن عروة بن الزبير : سألتُ ابنَ العاص فقلتُ : أخبرني بأشدّ شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ ؟ قال : بينما النبي ﷺ يصلّي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط ، فوضع ثوبه على

(١) رواه أبو يعلى وأخرجه أيضاً البزار ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

وأخرجه الحاكم وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢٩/٣ .

عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبي ﷺ وقال : ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ الآية .

وهذا بلال بن رباح رضي الله عنه : يعذبونه في الرمضاء ، وقد وضعوا الصخر على صدره ، وتركوه لأطفال مكة في طرقاتها ، فيجهر بنشيده القدسي : أحد أحد .

وفاروق الإسلام عمر بن الخطاب الذي كان أشد قسوة على المستضعفين ، وأبعدهم عن الإسلام ، حتى قال عنه عامر بن ربيعة قبل إسلامه : لا يُسلم حتى يسلم حمار الخطاب . يُسلم ويعزّ به الإسلام ، ويجهر بالدعوة إلى الله عز وجل .

روى البخاري ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر بن الخطاب .

وقال ابن مسعود : إن إسلام عمر كان فتناً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمةً ، ولقد كنّا وما نصليّ عند الكعبة ، حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر ، قاتل قريشاً ، حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

عمر - رضي الله عنه - الذي اتّبع المجالس التي كان يجالس فيها بالكفر ، فلا يبقى مجلس منها إلا أظهر فيه الإيمان ودعا إلى الله عز وجل .

« عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر قال : أي قريش أنقل للحديث ؟

ف قيل له : جميل بن معمر الجُمحي ، فعدا عليه ، قال عبد الله : وغدوتُ أتبع أثره وأنظر ما يفعل - وأنا غلامٌ أغفل كلّ ما رأيت - حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ . قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجرّ رداءه ، واتبّعه عمر ، واتبّعتُه أنا حتى قام على باب

المسجد ، صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبأ . قال : يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكنني قد أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وثاروا إليه ، فما برح يُقاتلهم ويقاتلونه ، حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطلح^(١) فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأخلف بالله أن لو قد كُنّا ثلاثمائة رجل ، لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش ، عليه حُلَّة حبرة وقميصٌ موشى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا : صبأ عمر ، قال : فمه ؟! رجلٌ اختار لنفسه أمراً ، فماذا تريدون ؟! أترون بني عدي يُسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلّوا عن الرجل . قال : فوالله لكأتما كانوا ثوباً كشط عنه . قال : فقلت لأبي ، بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبة ، من للرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك - أي بُني - العاص بن وائل السهمي^(٢) .

ابن مسعود - رضي الله عنه - أول من جهر بالقرآن بعد النبي ﷺ : عن عروة بن الزبير قال : أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود فلله درّه^(٣) .

علو همة علي - رضي الله عنه - في الدعوة إلى الله عز وجل : عن البراء أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد - رضي الله عنه - إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام . قال البراء : فكنت فيمن خرج مع خالد

(١) أى أعْيَا كما في النهاية .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٧٩/٣ . وقال ابن كثير : إسناده جيد قوي .

(٣) أخرجه ابن حجر في الإصابة ، ورجاله ثقات ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٦٦/١ ، وابن هشام ٣١٤/١ مطولاً .

ابن الوليد ، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يجيبوه ، ثم إن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأمره أن يقفل خالداً ، إلا رجلاً كان ممن مع خالدٍ ، فأحب أن يعقب مع علي ، فليعقب معه . قال البراء : فكنت فيمن عقب مع علي ، فلما دنونا من القوم ، خرجوا إلينا ، ثم تقدم فصلّى بنا علي ، ثم صفنا صفّاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا ، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعاً ، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم . فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجداً ثم رفع رأسه فقال : « السلام على همدان ! السلام على همدان ! »^(١).

دعوة عبد الرحمن بن عوف إلى الله عز وجل :

أخرج الدارقطني عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : دعا النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال : « تجهّز فإني باعثك في سرية » . فذكر الحديث ، وفيه : فخرج عبد الرحمن حتى لحق بأصحابه ، فسار حتى قدم دومة الجندل ، فلما دخلها دعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي - رضي الله عنه - وكان نصرانياً وكان رأسهم . فكتب عبد الرحمن مع رجل من جُهينة - يقال له رافع بن مكيث - إلى النبي ﷺ يخبره ، فكتب إليه النبي ﷺ ، أن تزوّج ابنة الأصبغ ، فتزوّجها ، وهي تماضر التي ولدت له بعد ذلك أبا سلمة ابن عبد الرحمن^(٢).

مصعب بن عمير بن هاشم ، السيد الشهيد السابق البدري القرشي العبدري :

قال البراء بن عازب : « أوّل من قدم علينا مصعب بن عمير ، وابن

(١) أخرجه البيهقي ، ورواه البخاري مختصراً . كذا في البداية ١٠٥/٥ .

(٢) الإصابة في تراجم الصحابة ١٠٨/١ .

أُم مكتوم ، وكانوا يُقرئون الناس » . رواه البخاري ... سبحان الله ! ما منع العمى ابن أُم مكتوم عن الدعوة إلى الله والخروج من مكة إلى المدينة لتعليم الناس .

بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار إلى المدينة ؛ ليعلمهم كتاب الله ، فنزل بني غنم ، على أسعد بن زرارة يحدّثهم ويقصّ عليهم القرآن ، فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ ، يدعو ويهدي الله على يديه ، حتى قلّ دارٌّ من دور الأنصار إلّا أسلم فيها ناسٌ لا محالة ، وأسلم أشrafهم ، وأسلم عمرو بن الجموح ، وكسرت أضنامهم ، ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ ، وكان يُدعى المقرئ .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معقيب وعبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب ابن عمير يُريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر ، على بئر يُقال له : بئر مرق ، فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير سيّدا قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مشركٌ على دين قومه ، فلمّا سمعا به قال سعد لأسيد : لا أبا لك ، انطلق إلى هذين الرجلين ، اللذين قد أتيا دارينا ليُسفّها ضُعفاءنا فازجرهما ، وانهما أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت ، كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً . قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ، ثم أقبل إليهما ، فلمّا رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب : هذا سيّد قومه وقد جاءك ، فاصدق الله فيه . قال مصعب : إن يجلس أكلّمه . قال : فوقف عليهما مُتشتّماً^(١) ، فقال : ما جاء بكما

(١) أي متلفظاً بقبيح الكلام .

إلينا تُسففهان ضعفاءنا عنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة . وقال موسى بن عقبة : فقال له : علام أتيتنا في دارنا بهذا الرعيد الغريب الطريد ؟ ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه . قال ابن إسحاق : فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت . قال : ثم ركّز حربته وجلس إليهما ، فكلّمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يُذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهيله . ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قال له : تغتسل فتطهر ، وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً إن اتبعكما ، لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن : سعد بن معاذ . ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس في ناديتهم ، فلما نظر إليه سعد مقبلاً ، قال : أحلف بالله ، لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأساً ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقوقك . قال : فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً مخوفاً ؛ للذي ذكر له من بني حارثة ، وأخذ الحربة في يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً . ثم خرج إليهما سعد ، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشتماً ، ثم قال لأسعد بن زرارة : والله يا أبا أمامة ، والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ، ما رمت^(١) هذا مني ، أتغشانا في

(١) ما بلغت هذا مني .

دارنا بما نكره؟ قال : وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيد من ورائه قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك اثنان . قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمرًا رغبت فيه ، قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت . ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف . قال : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ؛ في إشرافه وتسلهه ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالوا : تغتسل ، فتطهر ، وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين . قال : فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته ، فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أسيد ابن الحضير ، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله ، لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيّة^(١) . قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلماً أو مسلمةً ، ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الإسلام ، حتى لم يبق دور من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخطمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك الأوس بن حارثة ؛ وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ، واسمه صيفي ، وقال الزبير بن بكار : اسمه الحارث ، وكان شاعراً لهم ، قائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق^(٢) .

(١) أي قيادة .

(٢) البداية والنهاية ١٤٩/٣ - ١٥١ .

فله در مصعب بن عمير الداعية الذي على يديه أسلم الجبلان :
سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير ، ولله در سعد بن معاذ ، فقد كان إسلامه
فتحاً على الأوس والأنصار ، الداعية الذي أسلم بإسلامه قومه الرجال
والنساء . فليحسن الداعية خلقه مع أهله ، وليجعل بينه وبينهم وصلاً ،
فوالله ما دخل بنو عبد الأشهل الإسلام بدايةً إلا حباً لسعد ميمون النقيية
حسن السيرة فيهم .

عروة بن مسعود سيد ثقيف ، ودعوته لقومه :

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال : لما أنشأ الناس الحج سنة
تسع ، قدم عروة بن مسعود - رضي الله عنه - على رسول الله ﷺ
مسلياً ، فاستأذن رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه ، فقال رسول الله
ﷺ : « إني أخاف أن يقتلوك » . قال : لو وجدوني نائماً ما أيقظوني .
فأذن له رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قومه مسلماً ، فرجع عشاءً فجاء ثقيف
يحيونه ، فدعاهم إلى الإسلام فاتهموه وأغضبوه وأسمعوه فقتلوه . فقال
رسول الله ﷺ : « مثل عروة مثل صاحب ياسين ، دعا قومه إلى الله تعالى
فقتلوه » ^(١).

لما قدم عروة الطائف عشاءً فدخل منزله ، فأتته ثقيف تسلم عليه بتحية
الجاهلية ، فأنكرها عليهم وقال : عليكم بتحية أهل الجنة : السلام . فأذوه
ونالوا منه ، فحلم عنهم ، وخرجوا من عنده ، فجعلوا يأترون به ، وطلع
الفجر فأوفى على غُرْفَةٍ له ، فأذن بالصلاة ، فخرجت إليه ثقيف من كل ناحية ،
ورماه رجلٌ من بني مالكٍ يقال له : أوس بن عوف ، فأصاب أكحله ولم
يرق دمه ، فقام غيلان بن سلمة ، وكنانة بن عبد ياليل ، والحكم بن عمرو ،

(١) رواه الطبراني ، وروى عن الزهري نحوه ، وكلاهما مرسل وإسنادهما حسن ،
وأخرجه الحاكم (٣/ ص ٦٦٠) بمعناه وصححه .

ووجوه الأحلاف فلبسوا السلاح وحشدوا ، وقالوا : نموت عن آخرنا أو نثار به عشرة من رؤساء بني مالك ، فلما رأى عروة بن مسعود ما يصنعون قال : لا تقتلوا في ، قد تصدقت بدمي على صاحبه لأصلح بذلك بينكم ، فهي كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلي ، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ ، لقد أخبرني أنكم تقتلونني .

دعوة ضمام بن ثعلبة في بني سعد بن بكر :

أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال : بعث بنو سعد بن بكر ضمام ابن ثعلبة إلى رسول الله ﷺ ، فقدم علينا ، فأناخ بغيره على باب المسجد ، فعقله ثم دخل على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس مع أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أنا ابن عبد المطلب » . قال : محمد ؟ قال : « نعم » . قال : يا محمد إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة ، فلا تجدن علي في نفسك ، فإني لا أجد في نفسي . قال : « سل عما بدا لك » . قال : أنشدك الله إلهك وإله من قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : « اللهم نعم » . قال : فأنشدك الله إلهك وإله من قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن نعبد ولا نشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأوثان والأنداد التي كان آباؤنا يعبدون ؟ فقال : « اللهم نعم » . ثم جعل يذكر فرائض الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة كما أنشده في التي كان قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت عبد الله ورسوله ، وسأؤدي هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ، لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف راجعاً إلى بغيره ، فقال رسول الله ﷺ حين ولى : إن يصدق ذو العقيصتين^(١) ، يدخل الجنة » .

(١) العقيصه : الشعر المعقوص وهو نحو من المضاف ، وأصل العقص : اللَّي وإدخال أطراف الشعر في أصوله .

وكان ضمام رجلاً جلد أشعر ذا غديرتين ، ثم أتى بغيره ، فأطلق عقاله حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به وهو يسب اللات والعزى ، فقالوا : مه يا ضمام ، اتق البرص والجذام والجنون . قال : ويلكم ، إنهما والله ما يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإني قد جئكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه . فوالله ما أمسى ذلك اليوم من حضرته رجل ولا امرأة إلا مسلماً . قال ابن عباس : فما سمعنا بوفاد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة^(١) .

دعوة عمير بن وهب الجمحي ، رضي الله عنه :

كان عمير بن وهب الجمحي شيطاناً من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقون منه عناءً .

جلس عمير بن وهب مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدرٍ بيسيرٍ - وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر - فذكر أصحاب القلب ومصابهم ، فقال صفوان : والله ما إن في العيش بعدهم خير . قال له عمير : صدقت ، أما والله لولا دين علي ، ليس عندي قضاؤه ، وعيالٌ أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبت إلى محمدٍ حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة ، ابني أسير في أيديهم . قال : فاعتنمها صفوان بن أمية ، فقال : علي دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيءٌ ويعجز عنهم . فقال له عمير : فاكم علي شأني وشأنك . قال : سأفعل . قال : ثم أمر عمير بسيفه ، فشجذ

(١) صحيح : أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/ ٥٤ - ٥٥) وقال : قد اتفق الشيخان على إخراج ورود ضمام المدينة ، ولم يسق واحد منهما الحديث بطوله وهذا صحيح . ووافقه الذهبي .

وسُمَّ^(١)، ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينما عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف ، فقال : هذا الكلب ! عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلّا لشُرٍّ ، وهو الذي حرّش بيننا وحزرنّا للقوم يوم بدر ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب ، قد جاء متوشحاً سيفه . قال : فأدخله عليّ . قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبيه بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه ، قال : « أُرسله يا عمر ، ادن يا عمير » . فدنا ثم قال : أنعم صباحاً - كانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ﷺ : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ! بالسلام تحية أهل الجنة » . قال : أما والله يا محمد ، إن كنت بها لحديث عهد . قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » . قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ » . قال : قبّحها الله من سيوف ، وهل أغنت شيئاً ؟! قال : « اصدّقني ، ما الذي جئت له ؟ » قال : ما جئت إلّا لذلك . قال : « بل قعدت أنت وصفوان ابن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين عليّ وعيال عندي ، لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان ابن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك » . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت

(١) أي جعل فيه سُمّ .

تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ؛ فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق ، فقال رسول الله ﷺ : « فقهوا أحاكم في دينه ، وعلموه القرآن ، وأطلقوا أسيره » . ففعلوا . ثم قال : يا رسول الله ﷺ ، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لي ، فأقدم مكة فأدعوتهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم . فأذن له رسول الله ﷺ ، فلحق بمكة . وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول : أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً^(١) .

فلما قدم عمير رضي الله عنه مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه أناس كثير^(٢) .

رضي الله عنك يا عمير ... كم بدّل الإسلام من الرجال .. كان شيطاناً من شياطين قريش فأسلم ، ففرح المسلمون حين هداه الله ، وقال عمر بن الخطاب : رضي الله عنه : « لخنزير كان أحب إليّ منه حين اطلع ، وهو اليوم أحب إليّ من بعض بني » . ثم يصبح داعية يسلم على يديه أناس كثير .
عدي بن حاتم الطائي ، رضي الله عنه :

« لما ارتد بنو طيء وانضموا إلى جيش المتنبي طليحة بن خويلد

(١) البداية والنهاية ٣/٣١٣ . وهكذا أخرجه ابن جرير عن عروة بطوله .

(٢) الزيادة من كنز العمال ٧/٨١ . وهكذا أخرجه الطبراني عن محمد بن جعفر

ابن الزبير . وقال الهيثمي ٨/٢٨٦ : إسناده جيد .

الأسدي ، دعاهم عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه إلى الإسلام بأمرٍ من الصديق رضي الله عنه ، وذلك قبل بدء القتال معهم ، فعادوا بفضل الله مع عدي - رضي الله عنه - إلى خالد رضي الله عنه مسلمين ، وكانوا خمسمائة مقاتل .

كما دعا عدي بن حاتم - رضي الله عنه - بني جديلة ، الذين كانوا قد انضموا أيضاً إلى المتنبئ طليحة الأسدي ، فاستجابوا لعدي رضي الله عنه ، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب ^(١) .

الله أكبر .. لله دُرُّ الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي ، يهدي الله على يديه ألفاً وخمسمائة رجل ، بارك الله في سعيهم ودعوته ؛ لصدقهم وإخلاصهم وتنفيذهم وصية نبيهم ﷺ ببدء الدعوة قبل القتال ، كما قال ﷺ : « ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم » .

أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه :

قام أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بدعوة الروميين إلى الإسلام قبل بدء القتال معهم ، فقد ذهب بنفسه ، ومعه يزيد بن أبي سفيان وضرار ابن الأزور والحارث بن هشام وأبو جندل بن سهيل - رضي الله عنهم - إلى القائد الرومي أخي الملك « تذراق » ودعوه إلى الله عز وجل ، وكان ذلك قبل معركة اليرموك ^(٢) .

كما دعا أبو عبيدة - رضي الله عنه - الرسول الرومي الذي وفد إليه من قبل ماهان - وزير ملك الروم - طالباً منه إرسال خالد بن الوليد - رضي الله عنه - إلى ماهان كي يتفاهم معه ، وشرح الله صدره للإسلام ،

(١) تاريخ الطبري ٢٥٣/٣ - ٢٥٤ ، والكامل في التاريخ ٢٣٤/٢ .

(٢) البداية والنهاية ٩/٧ - ١٠ .

فاستجاب لدعوة أبي عبيدة - رضي الله عنه - وصاح : « اشهدوا عليّ بأجمعكم ؛ أني من المسلمين » . ففرح المسلمون بإسلامه وصافحوه ، ودعوا له بخير ، وقالوا له : « ما أعزّك علينا ، وأرغبنا فيك ، وأكرمك علينا ! وما أنت عند كل امرئ منا إلا بمنزلة أخيه لأمه وأبيه » . قال الرومي : « فإنكم نعم ما رأيتم »^(١) . وكان هذا قبل معركة فحل .

عمرو بن العاص رضي الله عنه فاتح مصر :

قال ابن كثير في البداية والنهاية ٩٧/٧ - ٩٨ عن توجيه الدعوة لدخول الإسلام إلى أهل مصر : فلمّا تصافوا (المسلمون وأهل مصر) قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : لا تعجلوا حتى تُعذّر ، ليرز إليّ أبو مريم وأبو مريم راهبا هذه البلاد . فبرزوا إليه فقال لهما عمرو بن العاص : أنتما راهبا هذه البلاد ، فاسمعا : إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به ، وأمرنا به محمد ﷺ وأدّى إلينا كل الذي أمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة . وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن أجابنا إليه فمثلنا ، ومن لم يجيبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة .

وهذا ما بلغه عمرو بن العاص - رضي الله عنه - رسل المقوقس حاكم الإسكندرية أيضاً عند حصاره حصن بابليون ، وبعث به عمرو عبادة بن الصامت مع طائفة من أصحابه إلى المقوقس .

ولما انتهى القتال وقع الأسرى من المصريين في يد فاتح مصر عمرو ، فأبدى المقوقس صاحب الإسكندرية استعداداه لأداء الجزية للمسلمين ، على أن يُردّ إليه سبايا أرضه . وافق عمرو بن العاص على هذا العرض بعد استئذان أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه ، على أن يخير الأسرى الموجودون بمصر

(١) فتوح الشام للأزدي ص ١٩٨ ، وكتاب الفتوح لابن أعم ٢٣٨/١ .

بين الإسلام ودين قومهم ، فمن اختار الإسلام فهو من المسلمين ، ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية .

يقول زياد بن جزء الزبيدي ، الذي كان في جند عمرو بن العاص - رضي الله عنه - : « فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا ، ثم نخيره بين الإسلام والنصرانية ، فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية ، ثم نحوزه إلينا . وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى ثم حاذوه إليهم ، ووضعنا عليه الجزية ، وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً ، حتى كأنه رجلٌ خرج منا إليهم »^(١) .

الله أكبر ، ما أعلى همتهم في الدعوة إلى الله عز وجل ، وما أعظم فرحهم بإسلام الأسرى ، وما أشد تأسفهم على إعراضهم عنه ! كان فرحهم وتأسفهم : على دخول الناس في دين الله ، ولم يكن لحصولهم على الجزية أو حرمانهم منها .

فها هو خالد بن الوليد رضي الله عنه يعرض على أصحاب عدي أن يختاروا إحدى ثلاث : « الدخول في الإسلام أو الجزية ، أو المناجزة والمناجزة » فاختاروا أداء الجزية ، ولم يفرح بذلك خالد رضي الله عنه ، رغم أن مبلغ الجزية كان كبيراً باعتبار ذلك الوقت ، حيث كان مائة وتسعين ألفاً ، بل ضاق صدره بذلك وبدأ تأسفه على إعراضهم عن الإسلام من قوله لهم : « قُبَّاً لكم ، ويحكم ! إن الكفر فلاة مضلة ، فأحمق العرب من سلكها »^(٢) .

وفي عصورنا المتأخرة تحدث توماس . و . أرنولد عن حرص الأتراك

(١) تاريخ الطبري ١٠٥/٤ - ١٠٦ ، والكامل في التاريخ ٣٩٧/٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٣٦١/٣ - ٣٦٢ ، والبداية والنهاية ٣٨٦/٦ .

على إدخال الناس في الإسلام ، وفرحهم بمن دخل فيه فقال : « قد رأى الأتراك أن أعظم خيرٍ يستطيعون تقديمه لأي فردٍ هو أن يهدوه إلى الإسلام » ثم قال : « ومما يدل على الحب الروحي المتوقد ، الذي جعل هؤلاء القوم في مثل هذه المنزلة من الغيرة على نشر الدين ، تلك الأفراح الشعبية التي كانوا يحيون فيها من دخلوا طوعاً من المسلمين الجدد في الإسلام ، فكان المسلم الجديد يمتطي حصاناً ويُطاف به في طرقات المدينة ، وهم في نشوة النصر ، فإذا توسموا فيه خلوص النية في تغيير دينه ، وعرفوا أنه دخل بمحض إرادته في حظيرة الإسلام ، أو كان شخصاً ذا مكانة طيبة ، استقبلوه بتكريم عظيم ، وأمدوه بما يعينه ، ولا شك أن هناك دليلاً قوياً ، يؤيد قول من قال : إن في نفوس الأتراك غيرة لا يكاد يصدقها العقل ، حين يتהלون إلى الله أن يحول الناس إلى الإسلام »^(١).

علو همة المتطوعين في نشر الإسلام :

لقد سجل التاريخ أخباراً حقيقية لنشر العقيدة الإسلامية ، تتضمن سجلاً بأسماء رجال ونساء من جميع طبقات المجتمع ؛ من الملك إلى الفلاح ، فلقد كان بدء دخول الإسلام في الهند وجزائر لكديف ومالديف والصين وبلاد أرخبيل الملايو ، وفي إفريقيا ، على أيدي التجّار المسلمين . يقول غوستاف لوبون : « والمسلم حيث يمرُّ يترك خلفه دينه ، وقد بلغ أشباع النبي ﷺ ملايين كثيرة في البلاد التي دخلها العرب بقصد التجارة ، لا فاتحين ؛ ك بعض أجزاء الصين وإفريقية الوسطى ، وروسيا ، وتم اعتناق هذه الملايين الإسلام طوعاً لا كرهاً ، ولم يُسمع أن الضرورة قضت بإرسال جيوشٍ مع هؤلاء المبشرين لمساعدتهم ، ويتسع نطاق الإسلام

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ١٨٤ - ١٨٥ .

بعد أن يقيمه هؤلاء في أي مكان»^(١).

بل وتحمس العبيد المسلمون لإدخال الناس في الإسلام .

ينقل توماس . و . أرنولد قصة عيد مسلم ، في محاولته للدعوة إلى الله فيقول : « إن داوتي قابل رجلاً كان قد انتزع من بلده في طفولته ، وبيع بيع الرقيق في جدة ، فسأله داوتي : « ألا زال يضر السخط نحو هؤلاء الذين سرقوه ، وأسلموا حياته للعبودية في أقاصي الأرض ؟ » فأجابه الرجل بقوله : « إن شيئاً واحداً قد عوضني ، وهو أنني لم أعد غارقاً في الجهل بين عبدة الأوثان . ما أعجب عناية الرحمن تلك التي جئت بفضلها إلى بلاد الرسول ﷺ هذه ، وتوصلت بها معرفة الدين ! آه ! ما أشد حلاوة الإيمان ! صدقني أيها الرفيق العزيز ، إنه أمر يعجز كل قلب عن الإفصاح عنه . كم أتمنى أن يهديك الله إلى تلك المعرفة السماوية ، ولكنني موقن أن الله سيرعاك ، حتى لا تهلك قبل أن تدخل هذا الدين . حقاً ما أجمل أن أراك مسلماً ، وأن تصير واحداً منا ! ولكنني أعرف أن الأجل بيد الله يفعل ما يشاء »^(٢).

الله أكبر : انظر إلى محاولة داوتي إثارة الحقد في قلب هذا المسلم ضد أهله ، وسعي المسلم إلى إدخاله في الإسلام نفسه .

دخول التار في الإسلام على يد الشيخ جمال الدين وابنه رشيد الدين من بخارى :

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله : « لما فتح التار العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري ، وأثخنوه جراحاً وقتلاً ، ولم يتركوا فيه إلا روحاً ضعيفةً ونفساً خافتاً ، وفُل سيف الجهاد والمقاومة ، فأصبح لا

(١) حضارة العرب ٧٣٤ - ٧٣٥ .

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٨٥ .

يؤثر ولا يعمل ، وأغمده المسلمون يأسًا وقنوطًا ، وآمن الناس بأن التتار لا يمكن إخضاعهم ، وأن العالم الإسلامي قد كتب عليه أن يعيش تحت حكم هؤلاء الهمج ، وأن الإسلام لا مستقبل له ، قام هؤلاء الدعاة المخلصون ، الذين لا يزال تاريخ الدعوة والإصلاح - على إحصائه واستقصائه - يجهل أسماء كثير منهم ، يتسربون في هؤلاء الغلاظ الشداد ، يفتحون قلوبهم للإسلام ، حتى تفتحت له وأحبته ، وصاروا يدخلون في دين الله أفواجا .

وهكذا أخضعوا للإسلام من أخضع العالم الإسلامي بالأمس من شرقه إلى غربه ، وأدخلوا أمةً قهرت الأمم كلها - في عصرها - في دين لا يحميه سيف ، ولا يدافع عنه جيش . أسلم التتار أمةً وجنسًا ، وكونوا دولًا كثيرة ، كان لكثير منها مآثر إسلامية يتجمل بها تاريخ الإسلام ، وكان انتصار الإسلام على الديانتين المنافستين حادثة غريبة ، لا تتعلل إلا بمشيئة الله تعالى وتأييده ، وتفوق دعاة الإسلام - في الإخلاص والروحانية - على دعاة البوذية والتصرانية^(١) .

يقول أرنولد : « لقد كان منافسة هذه الديانات العظمى في إخضاع القوة القاهرة لعقيدتها صراعًا عجيبيًا ينظر إليه التاريخ ، وينظر إليه العالم بدهشة واستغراب ، كل يحاول أن يخضع هؤلاء الوحوش القساة ، الذين داسوا هذه الديانات وحطموها . لم يكن أحد يتوقع أن الإسلام سينتصر في هذه المعركة ، ويهزم البوذية والنصرانية ، ويستأثر بالتتار ، فقد كانت عاصفة هجومهم وغاراتهم أشد على المسلمين منهم على غيرهم ، وكانت خسارتهم في ذلك أعظم من خسارة أية أمة ودولة وديانة . وقتل التتار علماء

(١) ربانية لارهبانية . لأبي الحسن الندوي ص ٣١ .

المسلمين وفقهاءهم ، وأسروهم واستعبدوهم ، وقد كان ملوك التتار وأمرؤهم يعطفون على كل ديانته سوى الإسلام .

ولكن رغم هذه المصاعب ، دان المغول والأمم الوحشية التي جاءت بعدهم ، بديانة أمةٍ داستها بأقدامها، واعتنقت الإسلام .

ولا شك أن الفضل في ذلك - كما صرح به « أرنولد » وغيره من المؤرخين الإسلاميين - يرجع إلى هؤلاء الدعاة المخلصين وربانيتهم ، وحرصهم على إرشاد هؤلاء الظالمين الذين سفكوا دماء المسلمين .

وقد نقل « أرنولد » قصة طريفة تدل على أسلوب دعوتهم ، ورقة موعظتهم ، وتجردهم من الأنانية والكبرياء ، وكم لها من أمثال فاتت التاريخ ، وأفلتت من أعين المراقبين وأقلام المسجلين .

أسلم سلطان (كاشغر) الذي كان يسمى « تغلق تيمورخان » (١٣٤٧م - ١٣٦٣م) على يد الشيخ « جمال الدين » الذي جاء من بخارى ، وكان من خبره ، أنه كان مع رفقةٍ له في رحلته ، فمروا بأرض السلطان التي كان قد حماها للصيد ، وهم لا يشعرون ، وأمر بهم الملك ، فأوثقوا ، وعرضوا عليه ، وقال - وقد استشاط غضباً - : كيف دخلتم في حماي من غير إذن ؟ قال الشيخ : نحن غرباء ، ولم نشعر بأننا نمشي على أرضٍ ممنوعة . ولما علم الملك أنهم إيرانيون ، قال في احتقارٍ وسخرية : حتى الكلب أفضل من الإيرانيين . قال الشيخ : صدق الملك ، لولا أن الله أكرمنا بالدين الحق لكنا أذل من الكلاب . وتحير الملك ، ومضى للصيد تشغل فكره ، وأمر بعرضهم عليه بعد الصيد ، ولما رجع خلا بالشيخ وقال : فسّر لي ما قلت ، وأخبرني ما تعني بالدين الحق ؟ وفسّر الشيخ الإسلام في حماسةٍ وقوةٍ ، تفسيراً رق له قلب السلطان ، وصوّر الكفر تصويراً بشعاً هائلاً ، فزع منه السلطان ، وأيقن أنه على ضلالٍ وخطر .

ولكن السلطان رأى أنه لو أعلن الإسلام لَمَا استطاع أن يدخل قومه في الإسلام ، ورجاُ الشيخ أن ينتظر ، حتى إذا سمع أنه ولي الملك ، وجلس على أريكة الحكم ، زاره ، وكانت المملكة « الجغتائية » قد توزعت في إماراتٍ متعددة ، واستطاع « تغلق تيمور » أن يجمعها ، ويكون منها مملكة صغيرة ، ورجع الشيخ « جمال الدين » إلى بلاده ، ومرض مرضاً شديداً ، ولما حضرته الوفاة ، دعا ولده « رشيد الدين » وقال له : إن « تغلق تيمور » سيكون في يومٍ من الأيام ملكاً عظيماً ، فإذا سمعت بذلك تزوره ، وتقرئه مني السلام ، وتذكره بما وعدني به « من اعتناق الإسلام » وكان كذلك ، فقد بويغ « تغلق تيمور » بالملك ، وجلس مكان أبيه ، ودخل الشيخ « رشيد الدين » في المعسكر لينفذ وصية أبيه ، ولكنه لم يخلص إلى الملك ، فاحتال ، وبدأ يوماً يؤذّن بصوتٍ عالٍ عند خيمة السلطان في الصباح الباكر ، فطار نوم السلطان وغضب ، وطلب الشيخ « رشيد الدين » وحضر الشيخ ، وبلغ السلطان تحية والده ، وكان السلطان على ذكر منه ، فنطق بالشهادتين وأسلم ، ثم نشر الإسلام في رعيته ، وأصبح الإسلام ديانة الأقطار التي كانت تحت سيطرة أولاد جغتاي بن جنكيزخان ^(١).

علو الهمة في تأسيس المساجد لنشر الدعوة :

يقول الكاتب والعالم الأثري الفرنسي : « ما دخلت مسجداً قط دون أن تهزني عاطفة حادة ؛ أو بعبارةٍ أخرى : دون أن يصيبني أسفٌ محقق على أنني لم أكن مسلماً » ^(٢).

(١) ربانية لا رهبانية . ص ٣١ - ٣٥ ، كتاب « الدعوة إلى الإسلام » لأرنولد ص ٢٥٦ .

(٢) الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد ص ٤٥٩ .

يقول أرنولد : « في الصلوات اليومية ، يتجلى هذا الدين في طريقة تزكية خاشعة مؤثرة ، لا تستطيع أن تترك العابد والمشاهد كليهما غير متأثرين »^(١).

وذكر أرنولد أن مشهد صلاة في الجمعة في مسجد ، كان عاملاً حاسماً في تحول سعيد بن الحسن - أحد يهود الإسكندرية - إلى الإسلام ، وذلك في سنة ١٢٣٨م^(٢).

لما سیر الصديق يزيد بن أبي سفيان وجيشه إلى الشام ، بشرهم بفتح الله تعالى إياها : « حتى تبثوا فيها المساجد ، فلا يعلم أنكم إنما تأتونها تلهياً »^(٣). فأسس المسلمون المساجد بدمشق وحمص وحلب واللاذقية ، عند أول افتتاحهم البلاد الشامية .

وفي العراق لما اختط المسلمون مدينة البصرة ، كان أول بناء فيها المسجد .

وعندما أسس عمرو بن العاص مدينة الفسطاط ، أقاموا أول ما أقاموا المسجد . الذي كان دائماً آية استقرارهم في الأرض ، وتمثيلاً لحركتهم في طابعها الديني وظواهرها الاجتماعية^(٤)، وكذا لما فتحوا الإسكندرية كان المسجد أول بناء فيها .

وبنى عقبة بن نافع مسجداً أول ما بنى مدينة القيروان ، ثم أقيمت المدينة ومعالمها وطرقها ومرافقها حول المسجد^(٥).

(١) ، ٢) الدعوة إلى الإسلام ص ٤٥٨ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٥٥/١ .

(٤) انظر فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٩١ - ٩٢ والخطط للمقرئ ٢٨٦/١ .

(٥) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد الأنصاري ١٠/١ .

وشيّد حسان بن النعمان الغساني مسجداً جامعاً بمدينة تونس ، عند إنشائه هذه المدينة .

وبنى بالقيروان تاجر الله إسماعيل بن عبيد الأنصاري المسجد الكبير

سنة ٩١ هـ .

وفي الأندلس كان أول شيء أقامه موسى بن نصير لدى عبوره :

« مسجد الرايات » في الجزيرة الخضراء .

وفي الهند وعلى شواطئها الغربية ، بنى مالك بن دينار مسجداً بمدينة

كدنغلور عاصمة مليبار القديمة . كما بنى ابن أخيه مالك بن حبيب عشرة

مساجد في أنحاء كيرالا .

وفي السند اختطّ محمد بن قاسم الثقفي — بعد فتحه مدينة ديبيل

عام ٩١ هـ — مدينةً وبنى فيها مسجداً .

يقول توماس . و . أرنولد عن تحمس المسلمين لنشر الإسلام على

الساحل الغربي من إفريقية : « وإذا ما اجتمع في مدينة ستة رجال منهم ،

وأقل من ذلك أو أكثر ، وعزموا على أن يقيموا فيها فترةً من الزمن ، سارعوا

إلى بناء مسجد ، وأخذوا ينشرون الدعوة »^(١) .

بعث المعلمين والقراء للدعوة في البلاد المفتوحة :

لما فتحت البلاد ، كان أهم أعمال الولاة تعليم الناس الإسلام ، كما يقول

عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « إنما بعثتُ عمالاً ليعلموكم كتاب ربكم

وسنة نبيلكم ، ويسيروا بينكم دينكم »^(٢) . وإلى جانب هذا ، كان المعلمون

يبعثون إلى البلاد المفتوحة لتعليم الناس القرآن الكريم ، وتفقيههم أمور الدين .

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٧٦ .

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية ص ٢٣ .

لما كتب يزيد بن أبي سفيان إلى الفاروق رضي الله عنهما : « إن أهل الشام كثير ، وقد احتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم » . أرسل إليهم الفاروق - رضي الله عنه - معاذ بن جبل وعيادة بن الصامت وأبا الدرداء رضي الله عنهم .

وبعث - رضي الله عنه - عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، معلماً ووزيراً إلى أهل الكوفة ، قال ابن حجر في الفتح (٣/١٦٢) : « وكان قرظة ابن كعب الأنصاري أحد من وجهه عمر رضي الله عنه إلى الكوفة ليفقه الناس » .

قال قرظة ابن كعب : « بعث عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - رهطاً من الأنصار إلى الكوفة فيعثنى معهم »^(١) . وترك عقبة بن نافع في المغرب الأقصى بعض أصحابه يعلمون أهله القرآن والإسلام^(٢) .

وأرسل حسان بن النعمان - أمير المغرب - الفقهاء إلى سائر أنحاء بلاد البربر ؛ لتعليم البربر قواعد الدين ، ونشر العربية لغة القرآن^(٣) . وترك موسى بن نصير مع البربر سبعة عشر رجلاً ، يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام^(٤) .

وأرسل عمر بن عبد العزيز نافعاً مولى ابن عمر - رضي الله عنه - إلى أهل مصر يعلمهم السنن^(٥) .

(١) سنن الدارمي ، باب من حاف الفتيا مخافة السقط ٧٣/١ .

(٢) البيان المغرب في أخبار المغرب ٣٧/١ .

(٣) تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، للدكتور : السيد عبد العزيز سالم .

(٤) البيان المغرب في أخبار المغرب ٣٧/١ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/٤٩٦ .

كما أرسل - رحمه الله - عشرة من التابعين ؛ ليفقهوا أهل إفريقية ويعلموهم أمر دينهم .

علو همة المسلمين في الدعوة إلى الله في أشد الأحوال وأصعبها :
ما كان يشغل الدعاة إلى الله عن الدعوة - التي امتزجت بدمائهم واختلطت بوجيب قلوبهم - شاغلٌ مهما عظم ، والله صبرهم في نشر دعوتهم وإسلامهم ، وحياتهم من أجل دعوتهم ونشرها .
يقول الشاعر :

لإسلامي أعيش أنا	لتوحيدي وذا ديني
نقشْتُ حروفه تعلقو	على كلِّ العناوين
بخطِّ بارزٍ يسمو	على كلِّ الميادين
لإسلامي ولو حتَّى	إلى الجدران شدوني
لإسلامي ولو حتَّى	إلى النيران زفوني
لإسلامي لإسلامي	ولو في السوق باعوني
وإسلامي له عرقي	له نبضي وتكويني
وثارات لإسلامي	تُعاشني تغذيني
تبثُّ النور في رُوحِي	وتنبضُ في شراييني
أنا ما رَمَلَةٌ إِلَّا	وتعرفني وتدعوني
أنا بالدم قد رَوَيْ	تُ زيتوني وليموني
أنا من أعيُن الشهدا	ء أستوحى براكييني
من القرآن ينشدني	فُيطريني ويُشجيني
أمامًا يا دروب الخلد	د شدَّيه وشديني
أمامًا يا مخاض النّاء	ر يا دَرْب القرايين
صلاح الدين في أعما	ق أعماقي يناديني
وراياتي التي طُوِيَتْ	على ربوات حطّين

وأطفالي هناك هنا ك في عُمر الرّياحين
وآلاف من الأسرى وآلاف المساجين
تنادي الأمة الكبرى وتهتف بالملايين
وصوت مؤذن الأقصى يهيب بنا أغيثوني
أنا ماذا أكون أنا بلا ربّي بلا ديني
أنا ماذا أكون أنا أجيوني أجيوني

تحمّس الصديق للدعوة رغم فقدّه لحبيبه ﷺ :

لقد كان موت رسول الله ﷺ أعظم مصيبةٍ حلت بالمسلمين ، ورغم هذا ، ورغم حُبّ أبي بكرٍ الشديد لرسول الله ﷺ ، الذي لا يُعادلُه حُبّ أحدٍ من البشر ، فقد تحمّس الصّدّيق لنشر الدعوة ، وخطب الصديق بعد موت الحبيب ﷺ فقال :

« إن الله عمر محمدًا وأبقاه حتى أقام دين الله ، وأظهر أمر الله ، وبلغ رسالة الله ، وجاهد في سبيل الله ، ثم توفاه الله على ذلك ، وقد ترككم على الطريقة ، فلن يهلك هالكٌ إلّا من بعد البينة والشفاء ، فمن كان الله ربه فإن الله حيّ لا يموت ، ومن كان يعبد محمدًا ﷺ وينزله إلهاً فقد هلك إلهه . فاتقوا الله أيها الناس ، واعتصموا بدينكم ، وتوكلوا على ربكم ، فإن دين الله قائم ، وإن كلمة الله تامة ، وإن الله ناصر مَنْ نصره ومعزّ دينه ، وإن كتاب الله بين أظهرنا ، وهو النور والشفاء ، وبه هدى الله محمدًا ﷺ ، وفيه حلال الله وحرامه . والله لا تُبالي من أجلب علينا من خلق الله ، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعدّ ، ولنجاهدَنَّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ فلا ييغين أحدٌ إلّا على نفسه »^(١) .

(١) البداية والنهاية ٢٤٣/٦ .

لله درّ الصّدّيق ، الذي قال فيه رسول الله ﷺ وفي عمر : « هذان من الدين السّمع والبصر »^(١) .
ونادى منادي الصديق من بعد الغد من مُتوفّى رسول الله ﷺ :
« ليم بعث أسامة . ألا لا يقيّن بالمدينة أحدٌ من جند أسامة إلا أخرج إلى عسكره بالجرف »^(٢) .

إصرار الصديق على قتال مانعي الزكاة رغم الأحوال العصيبة :

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة ، واشرب^(٣) النفاق بالمدينة . والله قد نزل بأي ما لو نزل بالحبال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة »^(٤) .
وهنا يظهر معدن الرجال ، وتسمو همة الصديق إلى أعلى ما تسمو إليه الهمم ، ويتجلى عزمه الراسخ على قتال مانعي الزكاة ، ويقول قولته التي تكتب بأحرف من نور وترقم في الوجود أبد الدهر : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه » . قال له عمر : « يا خليفة رسول الله ، تألف الناس وارفق بهم » . فقال : « أجبار في الجاهلية وخوارج في الإسلام ؟ إنه قد انقطع الوحي وتم الدين ، أينقص وأنا حي ؟ » .
ورضي الله عن الفاروق إذ يقول : « لو أطاعنا أبو بكرٍ لكفرنا » .

(١) صحيح . رواه الحاكم في المستدرک ٦٩/٣ وصحّحه وحسنه الذهبي ، وصحّحه

الألباني في الصحيحة رقم (٨١٤) ٤٧٢/٢ - ٤٧٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٢٢٣/٣ .

(٣) شرب .

(٤) علا وارتفع .

وشهدت الطباق السبع والأرضون السبع ، أن أبا بكرٍ وفقّي لدين الله ، وقام مقاماً لا يقومه أحدٌ غيره في الدعوة إلى الله والدّبّ عن دين .

نذب الفاروق المسلمين لقتال أهل فارس بعد وفاة الصديق رضي الله عنهما :

وبالرغم من ألم وفاة وفراق الصّدّيق ، فقد كان « أول ما عمل به عمر رضي الله عنه أن نذب الناس مع المثني بن حارثة الشيباني - رضي الله عنه - إلى أهل فارس ، قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات فيها أبو بكر رضي الله عنه ، ثم أصبح فتبايع الناس ، فعاد فندب الناس إلى فارس »^(١) .
تحمّس المسلمون للدعوة في زمن زوال خلافتهم :

ورغم المعارضة الشديدة والصعاب الكثيرة ، علت همم المسلمين في الدعوة في بلاد أرخبيل الملايو ، رغم معارضة الاستعمار الأسباني ، وفي بلاد الهند لم يستطع الاستعمار البريطاني إخماد تحمّس المسلمين في شبه القارة الهندية للدعوة لدينهم .

يقول الدكتور غوستاف لوبون : « ثقلت قرون على أعفار العرب ، ودخلت حضارتهم في ذمّة التاريخ منذ زمن طويل ، ولا نقول مع ذلك : إنهم ماتوا تماماً ، ونرى الآن ديانتهم ولغتهم اللتين أدخلوهما على العالم ، أكثر انتشاراً مما كانتا عليه في أنضر أدوارهم ، فالعربية هي اللغة العامة من مراكش إلى الهند ، ولا يزال الإسلام جاداً في تقدمه »^(٢) .
ويورد توماس . و . أرنولد على من قال : « إن النشاط الدعوي للإسلام مرتبط مع سلطانه السياسي وجوداً وعدمًا » . فيقول :

(١) تاريخ الطبري ٤٤٤/٣ ، والبداية والنهاية ٢٦/٧ .

(٢) حضارة العرب ص ٧٣٤ .

« ولم يكن النشاط الروحي للإسلام ، كما زعم عدد كبير جدًا من الناس ، متمشيًا مع سلطانه السياسي ، بل على العكس من ذلك ، نجد فقدان السلطة السياسية والانتعاش المادي ، يعمل على إبراز أجمل الصفات الروحية ، التي تعد أصدق البواعث التي تحفز على القيام بأعمال الدعوة ، وقد تعلم الإسلام منافع الشدائد ، ولما كان بعيدًا كل البعد عن الانحدار إلى الرخاء المادي ؛ لكونه نذير انحلال هذا الدين ، كان من المهم أن تلك البلاد الإسلامية الخالصة ، التي عاشت أطول وقتٍ في ظل الحكم المسيحي ، تتجلى كأشد ما تكون نشاطًا في القيام بنشر تعاليم الدعوة . ويظهر مسلمو الهند والملايو من الحماسة والغيرة في نشر الدين ، ما لا نجده في تركيا أو في مراکش »^(١).

دعوة إلى الله في السجون :

يقول توماس . و . أرنولد : « حتى الأسير المسلم يغتنم الفرص في المناسبات لدعوة آسريه أو إخوانه في الأسر إلى دينه »^(٢).

ثم قال : « وقد تسرب الإسلام إلى أوروبا الشرقية أول الأمر بفضل الله ، ثم ما قام به فقيه مسلم ، سيق أسيرًا ، وجيء به إلى بلاد بتشنج في مستهل القرن الحادي عشر ، وقد بسط بين يدي كثير منهم تعاليم الإسلام فاعتقدوه في إخلاص ، حتى إنه أخذ في انتشار بين هذا الشعب ، ولم تأت نهاية القرن الحادي عشر حتى كان الشعب بأسره قد اعتنقوا الإسلام ، وكان من بينهم مسلمون تعلموا الفقه والتوحيد .

وفي عهد الإمبراطور جيهانجير (١٦٠٥ - ١٦٢٨) كان هناك عالمٌ سني من علماء التوحيد ، يدعى الشيخ أحمد مجدد ، وقد تميز بقدرته على

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٤٦٩ .

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ٤٥٣ .

مجادلة الشيعة في عقائدهم بنوعٍ خاص . ولما كان هؤلاء مقربين إلى البلاط في ذلك الحين ، نجحوا في إيداعه السجن بتهمة تافهة . وفي خلال السنتين اللتين قضاهما في الحبس ، أدخل في الإسلام عدة مئاتٍ من عبدة الأوثان ، الذين كانوا يرافقونه في هذا السجن نفسه .

ومنها أن الحكومة البريطانية قضت بنفي أحد مولوية^(١) الهند إلى جزائر أندمان نفيًا مؤبدًا ؛ لأنه كان قد قام بنصيبٍ فعال في مؤامرةٍ دبرها الوهابيون سنة ١٨٦٤م ، وهناك أدخل هذا المولوي في الإسلام - قبل وفاته - كثيرًا من المحكوم عليهم^(٢) .

علو همة المسلمات في الدعوة إلى الله :

ما كان نشر الإسلام والدعوة إليه قاصرًا على الرجال وحدهم ، فكما قال رسول الله ﷺ : « النساء شقائق الرجال »^(٣) فقد أدت المرأة المسلمة أوفر نصيبٍ في الدعوة إلى الله . ومن الشواهد على ذلك :

اهتمام أم شريك رضي الله عنها بالدعوة :

فقد قامت أم شريك - رضي الله عنها - بالدعوة سرًا في أوساط النساء بمكة المكرمة ، رغم معارضة قريش الشديدة لذلك . ويتجلى هذا فيما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بقوله : « وقع في قلب أم شريك - رضي الله عنها - الإسلام ، فأسلمت وهي بمكة ، وكانت تحت أبي العسكر الدوسي ، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًا ، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام ، حتى ظهر أمرها لأهل مكة ، فأخذوها وقالوا : لولا قومك لفعلنا

(١) مولوي : لقب يلقب به العلماء في شبه القارة الهندية .

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ٤٥٣ .

(٣) صحيح .

بك وفعلنا ، لكننا سنردك إليهم»^(١).
 حرص أم سليم على إسلام ابنها ومن تقدم لخطبتها :
 حرصت أم سليم - رضي الله عنها - على تلقين ابنها أنس - رضي الله عنه - شهادة الإسلام رغم معارضة زوجها ، ودعت أبا طلحة إلى الإسلام حينما تقدم إليها . ولم ترتض منه مهرًا لها سوى الإسلام .

روى الإمام ابن سعد ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن جدته أم سليم رضي الله عنها ، أنها آمنت برسول الله ﷺ ، قالت : فجاء أبو أنس وكان غائبًا ، فقال : أصبوت ؟ قالت : ما صبوت ولكني آمنت بهذا الرجل . قالت : فجعلت تلقن أنسًا ، تشير إليه ، قل : « لا إله إلا الله » ، قل : « أشهد أن محمدًا رسول الله » . قال : ففعل . قال : فيقول لها أبوه : « لا تفسدي علي ابني » . فتقول : « إني لا أفسده » . قال : فخرج مالك أبو أنس فلقبه عدو فقتله . فلما بلغها قتله ، قالت : « لا جرم ، لا أقطم أنسًا حتى يدع الثدي حيا ، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس ، فيقول : « قد قضت الذي عليها » . فترك الثدي ، فخطبها أبو طلحة وهو مشرك ، فأبت . فقالت له يومًا ، فيما تقول : « رأيت حجرًا تعبد لا يضرك ولا ينفعك ، أو خشبة تأتي بها النجار فينجرها لك ، هل يضرك ، هل ينفعك ؟ »^(٢).

وفي رواية أنها قالت : « إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركًا . أما تعلم يا أبا طلحة ، أن آهنتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار ، وأنكم لو أشعلتم فيها نارًا لا احترقت ؟ » . قال : فانصرف عنها وقد وقع في قلبه من ذلك موقعًا . قال : وجعل لا يجيئها يومًا إلا قالت له ذلك^(٣).

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٥٣/٢ ج ١ ، ص ١٢١ ، (٢) رواه (٣)

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٢٥/٨ - ٤٢٦ . (٣) رواه (٣)

(٣) الطبقات الكبرى ٤٢٧/٨ . (٣)

وفي رواية عند النسائي : قالت : « والله ما مثلك يا أبا طلحة يُردّ ، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ، ولا يحل لي أن أتزوجك . فإن تسلم فذاك مهري ، وما أسألك غيره . »

وفي رواية عند ابن سعد : قالت : فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأزوجك نفسي ، لا أريد منك صداقاً غيره ؟ » قال ثابت - البناني - : فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهراً من

أم سليم رضي الله عنها : الإسلام ، فدخل بها فولدت له ^(١) . قال صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة ، فسمعت خشفة بين يدي ، فقلت : ما هذه الخشفة ؟ فقيل : الغميصاء بنت ملحان ^(٢) . »

لله درك أم سليم ... تلقين ابنك الشهادة وهو يرضع ... ويدخل الإسلام على يدك رجل قال عنه رسولنا صلى الله عليه وسلم : « لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل » ^(٣) . وهو الذي سرد الصوم بعد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين عاماً .

أم حكيم بنت الحارث وحرصها على إسلام زوجها عكرمة : لما أسلمت أم حكيم بنت الحارث زوجة عكرمة يوم الفتح ، وفرّ زوجها إلى اليمن ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه ولو كان معلقاً بأستار الكعبة ، حرصت أم حكيم رضي الله عنها - على إسلام زوجها ، فبذلت لذلك جهوداً عظيمة . وكان عكرمة قد غادر مكة نحو الغرب في اتجاه جلة ، يريد اليمن عن طريق البحر ، خوفاً من القتل ، فاستأمنت أم حكيم النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) سنن النسائي - كتاب النكاح - التزويج على الإسلام ، وسير أعلام النبلاء ٣٠٥/٢ - ٣٠٦ .

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائي عن أنس .

(٣) صحيح : أخرجه الحاكم في المستدرک عن جابر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٠٨١) .

(١) ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦ - ١٤١٧ - ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١ - ١٤٢٢ - ١٤٢٣ - ١٤٢٤ - ١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧ - ١٤٢٨ - ١٤٢٩ - ١٤٣٠ - ١٤٣١ - ١٤٣٢ - ١٤٣٣ - ١٤٣٤ - ١٤٣٥ - ١٤٣٦ - ١٤٣٧ - ١٤٣٨ - ١٤٣٩ - ١٤٤٠ - ١٤٤١ - ١٤٤٢ - ١٤٤٣ - ١٤٤٤ - ١٤٤٥ - ١٤٤٦ - ١٤٤٧ - ١٤٤٨ - ١٤٤٩ - ١٤٥٠ - ١٤٥١ - ١٤٥٢ - ١٤٥٣ - ١٤٥٤ - ١٤٥٥ - ١٤٥٦ - ١٤٥٧ - ١٤٥٨ - ١٤٥٩ - ١٤٦٠ - ١٤٦١ - ١٤٦٢ - ١٤٦٣ - ١٤٦٤ - ١٤٦٥ - ١٤٦٦ - ١٤٦٧ - ١٤٦٨ - ١٤٦٩ - ١٤٧٠ - ١٤٧١ - ١٤٧٢ - ١٤٧٣ - ١٤٧٤ - ١٤٧٥ - ١٤٧٦ - ١٤٧٧ - ١٤٧٨ - ١٤٧٩ - ١٤٨٠ - ١٤٨١ - ١٤٨٢ - ١٤٨٣ - ١٤٨٤ - ١٤٨٥ - ١٤٨٦ - ١٤٨٧ - ١٤٨٨ - ١٤٨٩ - ١٤٩٠ - ١٤٩١ - ١٤٩٢ - ١٤٩٣ - ١٤٩٤ - ١٤٩٥ - ١٤٩٦ - ١٤٩٧ - ١٤٩٨ - ١٤٩٩ - ١٥٠٠ - ١٥٠١ - ١٥٠٢ - ١٥٠٣ - ١٥٠٤ - ١٥٠٥ - ١٥٠٦ - ١٥٠٧ - ١٥٠٨ - ١٥٠٩ - ١٥١٠ - ١٥١١ - ١٥١٢ - ١٥١٣ - ١٥١٤ - ١٥١٥ - ١٥١٦ - ١٥١٧ - ١٥١٨ - ١٥١٩ - ١٥٢٠ - ١٥٢١ - ١٥٢٢ - ١٥٢٣ - ١٥٢٤ - ١٥٢٥ - ١٥٢٦ - ١٥٢٧ - ١٥٢٨ - ١٥٢٩ - ١٥٣٠ - ١٥٣١ - ١٥٣٢ - ١٥٣٣ - ١٥٣٤ - ١٥٣٥ - ١٥٣٦ - ١٥٣٧ - ١٥٣٨ - ١٥٣٩ - ١٥٤٠ - ١٥٤١ - ١٥٤٢ - ١٥٤٣ - ١٥٤٤ - ١٥٤٥ - ١٥٤٦ - ١٥٤٧ - ١٥٤٨ - ١٥٤٩ - ١٥٥٠ - ١٥٥١ - ١٥٥٢ - ١٥٥٣ - ١٥٥٤ - ١٥٥٥ - ١٥٥٦ - ١٥٥٧ - ١٥٥٨ - ١٥٥٩ - ١٥٦٠ - ١٥٦١ - ١٥٦٢ - ١٥٦٣ - ١٥٦٤ - ١٥٦٥ - ١٥٦٦ - ١٥٦٧ - ١٥٦٨ - ١٥٦٩ - ١٥٧٠ - ١٥٧١ - ١٥٧٢ - ١٥٧٣ - ١٥٧٤ - ١٥٧٥ - ١٥٧٦ - ١٥٧٧ - ١٥٧٨ - ١٥٧٩ - ١٥٨٠ - ١٥٨١ - ١٥٨٢ - ١٥٨٣ - ١٥٨٤ - ١٥٨٥ - ١٥٨٦ - ١٥٨٧ - ١٥٨٨ - ١٥٨٩ - ١٥٩٠ - ١٥٩١ - ١٥٩٢ - ١٥٩٣ - ١٥٩٤ - ١٥٩٥ - ١٥٩٦ - ١٥٩٧ - ١٥٩٨ - ١٥٩٩ - ١٦٠٠ - ١٦٠١ - ١٦٠٢ - ١٦٠٣ - ١٦٠٤ - ١٦٠٥ - ١٦٠٦ - ١٦٠٧ - ١٦٠٨ - ١٦٠٩ - ١٦١٠ - ١٦١١ - ١٦١٢ - ١٦١٣ - ١٦١٤ - ١٦١٥ - ١٦١٦ - ١٦١٧ - ١٦١٨ - ١٦١٩ - ١٦٢٠ - ١٦٢١ - ١٦٢٢ - ١٦٢٣ - ١٦٢٤ - ١٦٢٥ - ١٦٢٦ - ١٦٢٧ - ١٦٢٨ - ١٦٢٩ - ١٦٣٠ - ١٦٣١ - ١٦٣٢ - ١٦٣٣ - ١٦٣٤ - ١٦٣٥ - ١٦٣٦ - ١٦٣٧ - ١٦٣٨ - ١٦٣٩ - ١٦٤٠ - ١٦٤١ - ١٦٤٢ - ١٦٤٣ - ١٦٤٤ - ١٦٤٥ - ١٦٤٦ - ١٦٤٧ - ١٦٤٨ - ١٦٤٩ - ١٦٥٠ - ١٦٥١ - ١٦٥٢ - ١٦٥٣ - ١٦٥٤ - ١٦٥٥ - ١٦٥٦ - ١٦٥٧ - ١٦٥٨ - ١٦٥٩ - ١٦٦٠ - ١٦٦١ - ١٦٦٢ - ١٦٦٣ - ١٦٦٤ - ١٦٦٥ - ١٦٦٦ - ١٦٦٧ - ١٦٦٨ - ١٦٦٩ - ١٦٧٠ - ١٦٧١ - ١٦٧٢ - ١٦٧٣ - ١٦٧٤ - ١٦٧٥ - ١٦٧٦ - ١٦٧٧ - ١٦٧٨ - ١٦٧٩ - ١٦٨٠ - ١٦٨١ - ١٦٨٢ - ١٦٨٣ - ١٦٨٤ - ١٦٨٥ - ١٦٨٦ - ١٦٨٧ - ١٦٨٨ - ١٦٨٩ - ١٦٩٠ - ١٦٩١ - ١٦٩٢ - ١٦٩٣ - ١٦٩٤ - ١٦٩٥ - ١٦٩٦ - ١٦٩٧ - ١٦٩٨ - ١٦٩٩ - ١٧٠٠ - ١٧٠١ - ١٧٠٢ - ١٧٠٣ - ١٧٠٤ - ١٧٠٥ - ١٧٠٦ - ١٧٠٧ - ١٧٠٨ - ١٧٠٩ - ١٧١٠ - ١٧١١ - ١٧١٢ - ١٧١٣ - ١٧١٤ - ١٧١٥ - ١٧١٦ - ١٧١٧ - ١٧١٨ - ١٧١٩ - ١٧٢٠ - ١٧٢١ - ١٧٢٢ - ١٧٢٣ - ١٧٢٤ - ١٧٢٥ - ١٧٢٦ - ١٧٢٧ - ١٧٢٨ - ١٧٢٩ - ١٧٣٠ - ١٧٣١ - ١٧٣٢ - ١٧٣٣ - ١٧٣٤ - ١٧٣٥ - ١٧٣٦ - ١٧٣٧ - ١٧٣٨ - ١٧٣٩ - ١٧٤٠ - ١٧٤١ - ١٧٤٢ - ١٧٤٣ - ١٧٤٤ - ١٧٤٥ - ١٧٤٦ - ١٧٤٧ - ١٧٤٨ - ١٧٤٩ - ١٧٥٠ - ١٧٥١ - ١٧٥٢ - ١٧٥٣ - ١٧٥٤ - ١٧٥٥ - ١٧٥٦ - ١٧٥٧ - ١٧٥٨ - ١٧٥٩ - ١٧٦٠ - ١٧٦١ - ١٧٦٢ - ١٧٦٣ - ١٧٦٤ - ١٧٦٥ - ١٧٦٦ - ١٧٦٧ - ١٧٦٨ - ١٧٦٩ - ١٧٧٠ - ١٧٧١ - ١٧٧٢ - ١٧٧٣ - ١٧٧٤ - ١٧٧٥ - ١٧٧٦ - ١٧٧٧ - ١٧٧٨ - ١٧٧٩ - ١٧٨٠ - ١٧٨١ - ١٧٨٢ - ١٧٨٣ - ١٧٨٤ - ١٧٨٥ - ١٧٨٦ - ١٧٨٧ - ١٧٨٨ - ١٧٨٩ - ١٧٩٠ - ١٧٩١ - ١٧٩٢ - ١٧٩٣ - ١٧٩٤ - ١٧٩٥ - ١٧٩٦ - ١٧٩٧ - ١٧٩٨ - ١٧٩٩ - ١٨٠٠ - ١٨٠١ - ١٨٠٢ - ١٨٠٣ - ١٨٠٤ - ١٨٠٥ - ١٨٠٦ - ١٨٠٧ - ١٨٠٨ - ١٨٠٩ - ١٨١٠ - ١٨١١ - ١٨١٢ - ١٨١٣ - ١٨١٤ - ١٨١٥ - ١٨١٦ - ١٨١٧ - ١٨١٨ - ١٨١٩ - ١٨٢٠ - ١٨٢١ - ١٨٢٢ - ١٨٢٣ - ١٨٢٤ - ١٨٢٥ - ١٨٢٦ - ١٨٢٧ - ١٨٢٨ - ١٨٢٩ - ١٨٣٠ - ١٨٣١ - ١٨٣٢ - ١٨٣٣ - ١٨٣٤ - ١٨٣٥ - ١٨٣٦ - ١٨٣٧ - ١٨٣٨ - ١٨٣٩ - ١٨٤٠ - ١٨٤١ - ١٨٤٢ - ١٨٤٣ - ١٨٤٤ - ١٨٤٥ - ١٨٤٦ - ١٨٤٧ - ١٨٤٨ - ١٨٤٩ - ١٨٥٠ - ١٨٥١ - ١٨٥٢ - ١٨٥٣ - ١٨٥٤ - ١٨٥٥ - ١٨٥٦ - ١٨٥٧ - ١٨٥٨ - ١٨٥٩ - ١٨٦٠ - ١٨٦١ - ١٨٦٢ - ١٨٦٣ - ١٨٦٤ - ١٨٦٥ - ١٨٦٦ - ١٨٦٧ - ١٨٦٨ - ١٨٦٩ - ١٨٧٠ - ١٨٧١ - ١٨٧٢ - ١٨٧٣ - ١٨٧٤ - ١٨٧٥ - ١٨٧٦ - ١٨٧٧ - ١٨٧٨ - ١٨٧٩ - ١٨٨٠ - ١٨٨١ - ١٨٨٢ - ١٨٨٣ - ١٨٨٤ - ١٨٨٥ - ١٨٨٦ - ١٨٨٧ - ١٨٨٨ - ١٨٨٩ - ١٨٩٠ - ١٨٩١ - ١٨٩٢ - ١٨٩٣ - ١٨٩٤ - ١٨٩٥ - ١٨٩٦ - ١٨٩٧ - ١٨٩٨ - ١٨٩٩ - ١٩٠٠ - ١٩٠١ - ١٩٠٢ - ١٩٠٣ - ١٩٠٤ - ١٩٠٥ - ١٩٠٦ - ١٩٠٧ - ١٩٠٨ - ١٩٠٩ - ١٩١٠ - ١٩١١ - ١٩١٢ - ١٩١٣ - ١٩١٤ - ١٩١٥ - ١٩١٦ - ١٩١٧ - ١٩١٨ - ١٩١٩ - ١٩٢٠ - ١٩٢١ - ١٩٢٢ - ١٩٢٣ - ١٩٢٤ - ١٩٢٥ - ١٩٢٦ - ١٩٢٧ - ١٩٢٨ - ١٩٢٩ - ١٩٣٠ - ١٩٣١ - ١٩٣٢ - ١٩٣٣ - ١٩٣٤ - ١٩٣٥ - ١٩٣٦ - ١٩٣٧ - ١٩٣٨ - ١٩٣٩ - ١٩٤٠ - ١٩٤١ - ١٩٤٢ - ١٩٤٣ - ١٩٤٤ - ١٩٤٥ - ١٩٤٦ - ١٩٤٧ - ١٩٤٨ - ١٩٤٩ - ١٩٥٠ - ١٩٥١ - ١٩٥٢ - ١٩٥٣ - ١٩٥٤ - ١٩٥٥ - ١٩٥٦ - ١٩٥٧ - ١٩٥٨ - ١٩٥٩ - ١٩٦٠ - ١٩٦١ - ١٩٦٢ - ١

لزوجها ، وخرجت في طلبه ، وكانت قد اصطحبت معها غلاماً لها مملوكاً إلى جدة ، فاستغل الوضع المضطرب التي هي عليه ، فراودها عن نفسها أثناء الطريق ، فجعلت تمنيه « وكانت امرأة عفيفة فاضلة عاقلة ، حتى قدمت على حي من العرب هم بنو عك ، فطلبت منهم اعتقال الغلام ، بعد أن أخبرتهم خبر صنيعه القبيح ، فأوثقوه كتافاً ، وأبقوه لديهم حسب طلبها ، ثم واصلت سفرها حتى وصلت ميناء جدة »^(١) .

وكان عكرمة قد ركب السفينة ، وعندما ركبها قال له ربانها - وكان مسلماً - : أخلص فقال : أي شيء أقول : قال : قل : لا إله إلا الله . قال عكرمة متعجباً : ما هربت إلا من هذا . وبينما هو يحاور ربان السفينة ، إذ بامرأته العفيفة الوفية تناديه في إلحاح : يا ابن عم جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس ، لا تهلك نفسك فوقف لها ، واستوضحها : ما الخبر ؟ فقالت : إني استأمنت لك محمداً رسول الله ﷺ . قال : أنت فعلت ذلك ؟ قالت : نعم .

وفي رواية أخرى : فأدركته وقد ركب سفينة فنادته : « يا ابن عم ، هذا أمانٌ معي من رسول الله ﷺ ، فإن تسلم وتقبل أمان رسول الله ﷺ فأنا زوجتك ، وإلا انقطعت العصمة فيما بيني وبينك »^(٢) .

وعاد معها ، وفي الطريق « جعل عكرمة يطلب امرأته ، يجامعها ، فتأبى عليه وتقول : إنك كافر وأنا مسلمة »^(٣) . فجعل يقول لها : إن امرأ منعك مني لأمرٌ كبير . وفي أثناء العودة سأها عن غلامها الرومي ... فأخبرته خبر محاولته الدنيئة ، فلما وصل حيث الغلام مكتوفاً ، قتله في

(١) فتح مكة لمحمد أحمد بشاميل ص ٢٢٧ .

(٢) ، (٣) تاريخ ابن عساكر ٧٥٤/١١ - ٧٥٦ .

الحال ، وذلك قبل أن يسلم . فلما دنا عكرمة من مكة ، بشر النبي ﷺ أصحابه بإسلام عكرمة ، فقال : « يأتاكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً » .

وذكر المؤرخون أن الرسول الله ﷺ لما أقبل عليه عكرمة وثب إليه ، وما على النبي ﷺ رداء ، فرحاً بعكرمة . ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف بين يديه ، وزوجته منتقبة ، فقال : يا محمد ، إن هذه أخبرتني أنك أمتني . فقال رسول الله ﷺ : « صدقت ، فأنت آمن » . فقال عكرمة : فإلام تدعو ؟ قال : « أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة » . فقال عكرمة : والله ما دعوت إلا إلى الحق وأمر حسن جميل ، قد كنت والله فينا - قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه - وأنت أصدقنا حديثاً وأبرنا برّاً . ثم قال عكرمة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فسر بذلك رسول الله ﷺ وقال : « لا تسألني اليوم شيئاً أعطيه أحداً إلا أعطيتكه » . فقال عكرمة : فإنني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها ، أو مسير وضعت فيه ، أو مقام لقيتك فيه ، أو كلام قلته في وجهك ، أو أنت غائب عنه . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها ، وكل مسير سار فيه إلى موضع ، يريد المسير إطفاء نورك ، فاغفر له ما نال مني من عرض ، في وجهي أو أنا غائب عنه » . فقال عكرمة : رضيت يا رسول الله . ثم قال عكرمة : أما والله يا رسول الله ، لا أدع نفقة كنت أنفقها في صدٍّ عن سبيل الله ، إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله ، ولا قتال في صدٍّ عن سبيل الله ، إلا أبليت ضعفه في سبيل الله »^(١) .

وكان إسلام الصنديد عكرمة حسنةً من حسنات ، يسوقها الله ،

(١) فتح مكة لبشاميل ص ٢٢٨ - ٢٢٩ نقلاً عن مغازي الواقدي ٨٥٣/٢ ، وزاد

بفضله ومنه على يد أم حكيم ، رضي الله عنها .
نعم ، هذه هي المرأة المسلمة : في وضاءتها وعفتها ووفائها
ودعوتها لدينها .

قال توماس . و . أرنولد : « يرجع الفضل في إسلام كثير من أمراء
المغول إلى تأثير زوجة مسلمة ، ولا يبعد أن يكون مثل هذا التأثير سبباً
في إسلام كثير من الأتراك الوثنيين ، عندما كانوا قد أغاروا على الأقطار
الإسلامية » .

وقال توماس : « ويقال إن نساء قران التتريات بوجه خاص ، ذوات
غيره باعتبارهن داعيات إلى الإسلام ، ولا تمتنع المتمسكة بدينها من أن تحتل
مكانها إلى جانب الولي من الرجال في زمرة الداعين إلى العقيدة » (١) .
فيا ربات الخدور ... يا من سرتن على ركب القانتات العابدات
الداعيات ... لا بد من الدعوة إلى الله عز وجل ... لا بد أن تخالط الدعوة
إلى الله عز وجل دماء كن ، وأنفاسكن ، لا بد أن تؤثرن الدعوة إلى الله على
كل شيء . فأهل الباطل ديدنهم : « أن امشوا واصبروا على آهتكم » فما
أجراكن بالصبر على الدعوة إلى الله .

فهذه « جولدا مائير » رئيسة وزراء إسرائيل من ١٩٦٩ - ١٩٧٣
إحدى النساء اللواتي ساهمن مساهمة قوية في قيام دولة إسرائيل ، قال عنها :
« ابن غوريون » أول رئيس للوزراء - عندما عادت من أمريكا محملة
بخمسين مليون دولار بعد حملة تبرعات واسعة - : « سيغال عند كتابة
التاريخ : إن امرأة يهودية أحضرت المال ، وهي التي صنعت الدولة » (٢) . بل

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

(٢) مذكرات جولدا مائير ص ١٧١ .

قال عنها ثانياً : « إنها الرجل الوحيد في الدولة ! »^(١) .
 هذه اليهودية الكافرة تقول : « لقد كانت مسألة العمل في حركة العمل الصهيوني ، تجبرني للإخلاص لها ، ونسيان همومي كلها ، وأعتقد أن هذا الوضع لم يتغير طيلة مجرى حياتي في الستة عقود التالية » .
 وتقول في مذكراتها ص ٢٨٣ : « لم يقدم لنا الاستقلال على طبق من فضة ، بل حصلنا عليه بعد سنتين من النزاع والمعارك ، ويجب أن ندرك بأنفسنا ومن أخطائنا ، الثمن العالي للتصميم والعزيمة » .
 وتقول ص ٧١ : « لقد كان علينا الاعتماد على أنفسنا ، ومواجهة أي طارئ بروح بطولية مسئولة » .

هذه المرأة الرجل ... فأين دعاة القومية العربية ... الدعاة إلى التراب لا الدين ... أين أصحاب النعرات الناصرية .
 « من الخليج الثائر ... إلى المحيط الهادر ... ليك عبد الناصر » .

تروح بنا مصائبنا وتغدو فما يرعى لنا في الناس عهد
 ويخطب باقِل في كل نادٍ فيا « سُحبان » قولك لا يُعَدُّ
 تُعيرهم الصحافة مُقلتيها فهم في عُرفها الرُكن الأشدُّ
 لهم عبْر الإذاعة ألف صوت وفي التلفاز أذرعة تُمدُّ
 على وطنية التفكير قاموا وتحت غطاءها قبضوا ومدوا
 أقول لهم ثقافتكم هباءً وليس الغيمكم برق ورعد
 لنا وطنية ليست نشاراً فما تحفو الكتاب ولا تندُّ

(١) مذكرات جولدا مائير ص ٩٧ .

(٢) نكون أو لا نكون .. نظرات في مذكرات المرأة الصهيونية الرجل . لأحمد عبد الرحمن الصويان . ص ١٠٧ - مقال في مجلة البيان العدد ٨٨ - المنتدى الإسلامي لندن .

لنا البيت الحرام لنا حراء
لنا أرض الجزيرة قام فيها
لنا الأقصى لنا شام ومصر
لنا في المغرب العربي أهل
لنا الإسلام يجمع شمل قومي
ولا وطنية لدعاة فكر
إذا صارت روابطنا تراباً
فلا تعجب إذا اضطربت خطانا
عروس جُللت بثياب حزن
مراكبها تُسير في بحار
إذا لم يحكم الإسلام قومي

نعم ، ولنا زمازماً^(١) ونجد
من الإسلام دون البغي سد
لنا يمن وبغداد وسند
وأحباب ، وفي كابول جند
وإن ورمت أنوف من استبدوا
دخيل ، من سوانا يُستمد
عليه حبال أمتنا تُشد
وساومنا على الأعجاد وغد
وطاف بها على الشارين عبد
ولا هدف على الشيطان يبدو
فمَهْدُك أيها المولود لحد

لا بد من الدعوة إلى الله عز وجل على كل المستويات :

دعوة للمنحرفين والغافلين إلى التمسك بالإسلام .

ودعوة للمتمسكين به لبعث همهم ، وتعريفهم لطريق العمل وفقه الدعوة ، وقيامها على عقيدة السلف ، والتربية الإيمانية بفقه الكتاب والسنة وكثرة الذكر ، وقيام الليل وصيام النهار ، والمحافظة على الصلوات ... وتبصيرهم بواقع المسلمين الحاضر المؤلم ؛ ليؤثروا العمل مع ميامين نفروا لمقارعة الجاهلية والرجوع بالأمة إلى إسلامها بزيادة بذل ، وترقيق قلب القلب بتراجم وأقوال الأئمة من السلف ؛ من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، وزهاد الأمة وعبّادها وأصحاب السلوك فيها ، فكم من بركة كامنة في كلامهم ، وهم العلماء بالله ، وكما قال يحيى بن معاذ : « أحسن شيء : كلام رقيق ، يُستخرج من بحر عميق ، على لسان رجل رقيق »^(٢) .

(١) زمازم : اسم من أسماء زمزم .

(٢) تاريخ بغداد ٢٠٩/١٤ .

لا بد من الدعوة إلى الله وعلو الهمة فيها ؛ لانتشال الأمة من تيهها الذي تهيم فيه ، فالسواد الأعظم قد انحرف عن غير ما قصد كيد ، ولا إرادة سوء ، وهم أهل لأن يشاركوا الدعاة إلى إرجاع الأمة إلى التمسك بدينها ، إذا انجلى لهم جانب الانخداع الذي هم فيه ، فالفتنة قد فني عليها الكبير ، وكبر عليها الصغير .

لا بد من الدعوة إلى الله لاستنقاذ الطُّبَاء الجفولة ، والعصاة الذين تخلفوا عن منازل الفضل .

لا بد من الدعوة لمن ألهته الشهوة والغفلة عن الفرائض ، وسدر في العصيان .

لا بد من خطاب المقت والتذكير الغاضب لصاحب الكبائر الظالم الماجن .

كل ذلك في آنٍ واحد ... ولا تعجب فالدعوة هي الدعوة .
لا بد من تذكير المسلمين بأصلهم الضارب في التاريخ ، وحقيقة دورهم في الماضي والحاضر والمستقبل ، وأنه دورٌ ماضٍ في هذه الأرض إلى آخر الزمان ، كما قال رباعي بن عامر : « إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ظلم الكهان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة » .

نحن وراثٌ هُدَاةٌ للبشر نحن عند الحق سرٌّ مدخرٌ
لا تزال الشمس تُبدي نورنا غَيْمُنَا فيه بُرُوقٌ وَسَنَا
ذَاتُنَا المرآةُ للحق ، اعْلَمْ آيَةُ الحق وجودُ المسلم^(١)
إن وجود المسلم ووجود الدعوة إلى الله حتمية من حتميات التاريخ
الماضي والحاضر ، وإنها لحتمية ماضية إلى يوم القيامة .

(١) ديوان الأسرار والرموز لإقبال ص ٦٧ .

لا بد من الدعوة إلى الله ، وإلا ففسدت الأرض وأسنت الحياة ، وتعفنت ، وذافت البشرية الويلات من بعدها عن منهج الله .
إن المسلم أعز من أن يعتقد أن لصيق الأرض بإمكانه النطق بالصواب ، وإنما الصواب عنده ما نزل من السماء ، ودعا إليه رسول الله ﷺ : « أصدق كلمة قالها الشاعر : كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل »^(١) .
حيما يعيش الإنسان للدعوة الله ، يومها فقط سيندوق ، معنى السعادة .

إن السعادة أن تعي ش لفكرة الحق التليد
لعقيدة كبرى تحل قضية الكون العتيذ
وتجيب عما يسأل الـ حيران في وعي رشيد
من أين جئت ؟ وأين أذ هب لم خلقت ؟ وهل أعود
فتشيع في النفس البقيذ من وتطرد الشك العتيذ
وتعلم الفكر السوي وتصنع الخلق الحميد
وترد للنهج المسد د كل ذي عقل شروذ
تعطي حياتك قيمة رب الحياة بها يشيد
ليظل طرفك رانيا في الأفق للهدف البعيد
فنعيش في الدنيا لأخـ رى لا تزول ولا تبيد
وتمدّ أرضك بالسما ء وبالملائكة الشهود
هذي العقيدة للسعي د هي الأساس هي العمود
من عاش يحملها ويـ تف باسمها فهو السعيد^(٢)

(١) رواه البخاري ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة .

(٢) ليوسف القرضاوي ، عن مجلة التربية الإسلامية - السنة السادسة ص ٢٧٨ .

يقول الشيخ القدوة السلفي عبد القادر الجيلاني ، مبيّناً فرحه عند العمل للدعوة وهداية الناس : « سبحان من ألقى في قلبي نُصْحَ الخلق وجعله أكبر همي » . ويقول : « إذا رأيتُ وجه مريد صادق قد أفلح على يدي ، شيعت وارتويت واكتسيت ، وفرحت ؛ كيف خرج مثله من تحت يدي ! »^(١) .

وقال رحمه الله : « المتزهّد المتبدئ في زهده : يهرب من الخلق ، والزاهد الكامل في زهده : لا يئالي بهم ، لا يهرب منهم ، بل يطلبهم ؛ لأنه يصير عارفاً لله عز وجل ، ومن عرف الله لا يهرب من شيء ، ولا يخاف من شيء سواه . المتبدئ يهرب من الفساق والعصاة ، والمتنهي يطلبهم . كيف لا يطلبهم وكل دوائهم عنده ؟! »

ولهذا قال بعضهم : لا يضحك في وجه الفاسق إلا العارف . من كملت معرفته لله عز وجل ، صار دالاً عليه ، يصير شبكةً يضطاد بها الخلق من بحر الدنيا ، يعطى القوة حتى يهزم إبليس وجنده ، يأخذ الخلق من أيديهم .

يا من اعتزل بزهد مع جهله ، تقدم واسمع ما أقول ببساطة يا زهاد الأرض تقدموا ، خربوا صوامعكم واقربوا مني ، قد قعدتم في خلواتكم من غير أصل . ما وقعتم بشيء . تقدموا^(٢) . رضي الله عنك يا جيلاني ... كلمات تهر القلب اهتزازاً ، ويطرب لها القواد . خذ مكانك يا ابن الإسلام في صفوف دعوة الإسلام ... وحرر نفسك من نير الأفكار الأرضية ، وآراء طواغيت القرن العشرين .

يقول الإمام العظيم الجيلاني ، مبيّناً أن المؤمن الآخرس متأخر ، وأنه

(١) الفتح الرباني للجيلاني ص ٢٧ .

(٢) الفتح الرباني للجيلاني ص ٧٣ بتصرف .

لا مكانة بعد النبوة فوق مكانة الدعوة ، وأن الفائز عند الله من اختاره الله :
 « وجعله جهبذاً وداعياً للعباد ونذيراً لهم ، وحجة هادياً مهدياً ... فهذه
 هي الغاية القصوى في بني آدم .. لا منزلة تفوق منزلته إلا النبوة »^(١) .
 وبمثل هذه الكلمات النيرة أسلم المثات ، واهتدت الألوف المؤلفة في
 مجلس الجيلاني الداعية الرباني عالي الهمة .

من أراد أن يدلف إلى الفردوس الأعلى ، ولا يرضى بالمنازل الواطئة ،
 من أراد المنزلة العليا القصوى من الجنة ، فعليه أن يكون في المنزلة القصوى
 في هذه الحياة الدنيا .. واحدة بواحدة ، ولكل سلعة ثمن .
 وما هذه المنزلة القصوى في الدنيا إلا منزلة الدعوة إلى الله ..
 رحمك الله يا جيلاني ، فما كان أفهمك لدعوة الله .

يقول الجيلاني عن المؤمن الآخرس عن الدعوة : « قلب بلا لسان ،
 هو مؤمن ستره الله عز وجل عن خلقه ، وأسبل عليه كنفه ، وبصره بعيوب
 نفسه ، ونور قلبه » .

« فلأن هذا المؤمن لم يملك اللسان ، نزلت مرتبته ، وتأخرت ، وفقد
 ما في ألقاب الأول من الهيبة والفخامة ؛ فالأول : (جهبذ) و (داعية)
 و (حجة) ، وله ما في هذه الكلمات من إشعاع البهاء . والثاني (مستور)
 فحسب ، وبين جرس هذه الكلمة ولفظها ، وتلك الكلمات وألفاظها من
 البعد ، مثل ما بين الأرض والسماء . إن بوناً شاسعاً ، وطفرة واسعة بين
 المنزلتين ؛ منزلة الدعوة ، ومنزلة الإيمان المستور المنعزل . وسبب البون هو
 اللسان الناطق بالحق لا غير . من ملك هذا اللسان ، فقد بذ وسبق قافلة
 السائرين إلى الله . كلهم يسير إلى الله ، ولكن أين من في المقدمة ، ممن في
 المؤخرة ؟ وكلهم يدخل إن شاء الله الجنة ، ولكن أين من يدخلها في الزمر

الأولى ، ممن يدخلها بعد أعوامٍ من الانتظار في ساحة العرض !! «^(١) .
أخي : العالم من كان داعية ، أما مؤلف الكتب فحسب ، فنقول له :
لست والله عالماً أو حكيماً إنما أنت تاجرٌ في العلوم^(٢)»

ابن الجوزي الداعية الكبير :

صاحب المجلس الذي تاب فيه الآلاف ، وأسلم المئات ، وبكت آلاف
العيون من المواعظ النورانية ... ملأ بغداد دعوة إلى الله وحثاً على الدعوة ،
يقول ، رحمه الله : « الزهاد في مقام الخفافيش ، قد دفنوا أنفسهم بالعزلة
عن نفع الناس ، وهي حالة حسنة إذا لم تمنع من خير ، من جماعةٍ واتباع
جنازةٍ وعيادة مريض ، إلا أنها خالة الجبناء . أما الشجعان فهم يتعلمون
ويعلمون ، وهذه مقامات الأنبياء عليهم السلام »^(٣) .

« وهكذا استمرت كلمات الواعين في كل جيل ، لا يسوغون لأحد
أن يعتزل ويقعد عن الدعوة إلى الله ولو أكثر العبادة .

حسبوا بأن الذين غُزِلُوا راهب	واستمروا الأوراد والأذكارا
عَجَبًا أراهم يؤمنون ببعضه	وأرى القلوب يبعضه كُفَّارا
والذين كان ولا يزال فرائضًا	ونوافلاً لله واستغفارا
والذين ميدانٌ وصمَّصام وفُر	سانٌ تُبِيد الشر والأشرارا
والدين حُكم باسم ربك قائم	بالعدل لا جورًا ولا استهتارا ^(٤)

دع بيتك وراء ظهرك :

والقعود في البيوت أكثر بعدًا عن صفة المؤمن الكامل ، ولذلك كان

(١) المنطلق لمحمد أحمد الراشد ص ١٢٢ ، ١٢٣ . مؤسسة الرسالة .

(٢) ديوان المثاني لعزام ص ٩٨ .

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٢٢٤ .

(٤) المنطلق ص ١١٦ .

الصحابه - رضي الله عنهم - ينكرون أشد الإنكار على من يتوارى في بيته .
قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه :- « إن أقل العيب على المرء أن يجلس في داره »^(١) . فعدوه عباً .
يقول الغزالي رحمه الله : « اعلم أن كل قاعد في بيته ، أينما كان ،
فليس خالياً في هذا الزمان عن منكراً ، من حيث التقاعد عن إرشاد الناس
وتعليمهم وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط
الصلاة في البلاد ، فكيف في القرى والبادي ، ومنهم الأعراب والأكراد
والتركانية ، وسائر أصناف الخلق .
وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس
دينهم ، وكذا في كل قرية ، وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه ،
وتفرغ لفرض الكفاية ، أن يخرج إلى ما يجاور بلده من أهل السواد ومن
العرب والأكراد وغيرهم ، ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم »^(٢) .
قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٢٧/١٦) : « فواجب على الأمة
أن يبلغوا ما أنزل إليه ، وينذروا كما أُنذر ، قال الله تعالى : ﴿ فلولاً نَفَر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم
لعلهم يحذرون ﴾ والجن لما سمعوا القرآن ﴿ ولّوا إلى قومهم منذرين ﴾ » .
قال ابن القيم : « والعالم الذي قد عرف السنة ، والحلال والحرام ،
وطرق الخير والشر ، مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم : أفضل
من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح »^(٣) .

(١) قاله في نسخة بخطه ٢٢١/٣ .

(١) طبقات ابن سعد ٢٢١/٣ .

(٢) إحياء علوم الدين ٣٤٢/٢ .

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، لابن قيم الجوزية ص ٩٣ .

الداعية رجالة^(١): «... فالدعاة هم الذين ينادون الناس بالكلام، ويحتكون بهم احتكاكاً هادفاً، ولا ينتظرون مجيء الناس لهم ليسألوهم، هكذا كان شأن الدعاة دوماً. راجع إلى رتبة الدعاة... أما ترى الأعرابي يقول لرسول الله ﷺ: «يا محمد، أنا نارسولك، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك. وكذلك الناس توثق، ومن انتظر أن يأتيه الناس فليس بداعية، وستبقية الأيام وحيداً فريداً وتعلمه للتأويل لا بد من تحريك ومبادأة وغدو ورواح وتكلم وزعم... ليس القعود والتمني من الطرق الموصلة، فافقه سيرة سلفك وقلدهم، تصل، وإلا فراوح في مكانك، فإنك لن تبرحه... وصل الماضي بالآتي: «... إن الإسلام اليوم أحوج ما يكون إلى جماعة من الدعاة الذين يدركون جيداً واجبه في هداية الناس، ويبصرون موقعهم في موكب الدعوة السائر، وأهم حلقة تصل الماضي بالآتي... نحن في ذي الحياة ركب سقار يصل اللاحقين بالماضين... قد هدانا السبيل من سبقونا وعلينا هداية الآتين^(٢) نعم، تعبوا - رحمهم الله - حتى أوصلوا عقيدة التوحيد لنا، وربونا، وهذبونا، وانتشلونا من مخاطر متلفة، وعلينا أن نكون أوفياء لهم، ننفذ عهدنا، حين أخذوا علينا أن نعمل مثل الذي عملوا... والغرس يقتضي مخالطة الناس، ومشافهتهم والصدع بالحق... أما أن يختار الخلوة، فهو كما وصفه مصطفى صادق الرافعي:

(١) المنطلق ص ١١٩، ١٢٠ بتصرف بعضه بلفظ «...» (١)

(٢) راجع إلى رتبة الدعاة

(٢) الثاني لعزام ص ١٤٩ .

(٣) ٧٠١ - ٦٨٠ رتبة الدعاة ص ٦٨ (٢) (٣)

« يحسب أنه قد قرّر من الرذائل إلى فضائله ، ولكن فراره من مجاهدة الرذيلة ، هو في نفسه رذيلة لكل فضائله ، وماذا تكون العفة والأمانة والصدق والوفاء والبر والإحسان وغيرها ، إذا كانت فيمن انقطع في صحراء أو على رأس جبل ؟ أيزعم أحد أن الصدق فضيلة في إنسان ليس حوله إلا عشرة أحجار ؟ وأيم الله ، إن الخالي من مجاهدة الرذائل جميعاً ، لهو الخالي من الفضائل جميعاً »^(١) .

وصف لعالي الهمة من الدعاة :

يقول الجيلاني : « هم قيامٌ في مقام الدعوة ، يدعون الخلق إلى معرفة الحق عز وجل ، لا يزالون يدعون القلوب »^(٢) .

« من صحت تبعيته للرسول ﷺ ، ألبسه درعه وخوذته ، وقلده سيفه . ونحله من أدبه وشمائله وأخلاقه ، وخلع عليه من خلعه ، واشتد فرحه به : كيف هو من أمته ؟ ويشكر ربه على ذلك ، ثم يجعله نائباً له في أمته ، ودليلاً وداعياً لهم إلى باب الحق عز وجل .

كان هو الداعي والدليل ، ولما قبضه الحق عز وجل أقام له من أمته من يخلفه فيهم ، وهم آحاد أفراد ، من كل ألف ألف واحد ، يدلون الخلق ، ويصبرون على أذاهم ، مع دوام النصح لهم ، يتبسمون في وجوه المنافقين والفساق ، ويحتالون عليهم بكل حيلة حتى يخلصوهم مما هم فيه ، ويحملونهم إلى باب ربهم عز وجل »^(٣) .

والدعوة تحتاج إلى مجاهدة النفس وإماتة الهوى ، لتحصل حياة الدعوة : « موتٌ ثم نشر ، ثم إذا شاء أنشرك له ، ردك إلى الخلق لتنظر في مصالحتهم وتردهم إلى بابه ، تجيء لك القوة على مقاساة الخلق ، فتردهم عن ضلالهم »^(٤) .

(١) وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ٩٧/٢ .

(٢) الفتح الرباني ص ٧ .

(٣) (٤) الفتح الرباني ٨٣ ، ١٠٧ .

التَّجَرُّد الكامل للدعوة :

لا نجاح للدعوة ، ولا وصول للغاية ، إن أعطيناها فضول الأوقات ، ولم ننس أنفسنا وطعامنا .

لا بد من التجرد الكامل والانغماس بكُلِّيتك في الدعوة ، حتى ينسى نفسه ، ويعود لا يرى إلَّا من يدعوهم ، ولا يتكلم إلَّا بما يفيد من يدعوهم ، فعالمه وكونه الفسيح لا يحوي شهوة ولا منصبًا ، ليس في هذا الكون إلَّا الذين يباشر دعوتهم ، هم تجارته ، ولذته ، ومنصبه ، ونبض قلبه ووجيب صدره ، وقفَّ على الدعوة إلى ربه .

وَشُغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سِوَى مَا كَانَ عَنْكَ فَإِنَّهُ شُغِلِي وَأُذِمْ نَحْوَ مُحَدَّثِي وَجْهِي لِيرَى أَنْ قَدْ عَقَلْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي يَقُولُ الْجِيلَانِي : « يَصِيرُ كَأَنْ لَا نَفْسَ لَهُ ، وَلَا طَبْعَ وَلَا هَوَى ، يَنْسَى طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَلِبَاسَهُ ، يَصِيرُ نَاسِيًا لِنَفْسِهِ ، ذَاكِرًا لِلْخَلْقِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، يَخْرُجُ بَقَلْبِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَالْخَلْقِ ، وَيَبْقَى بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، كُلَّ طَلْبِهِ نَفْعَ الْخَلْقِ ، قَدْ سَلِمَ نَفْسَهُ إِلَى يَدِ قَضَاءِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ »^(١) .

ويرحم الله الشيخ حسن البنا ، ما كان يدخل بيته إلَّا لِيُهِبِيَ متاعه لسفرٍ جديدٍ من أجل الدعوة ، رجته زوجه الانتظار ، وقد خشيت موت ابنه بعد شدة المرض به ، فقال لها : « إن جده، يعرف طريق المقابر جيّدًا » .

الداعي عالي الهمة رجل عامّة :

الداعية الفذّ هو رجل العامّة .. يقصد العامّة ، يتّصل بهم ويجالسهم ويعلمهم ، مثل سيرة سلفه الجهادية .

كانوا أئمة للعامّة ، يتصدون لإرشاد كل الناس ، فيتزايد حب القلوب

(١) الفتح الرباني ص ٢١١ .

لهم ، ويرون فيهم القدوة الصحيحة التي لا مطعن فيها ، فيتبعونهم ، ويمثلون أمرهم به لئلا يضلوا ، كما في قوله تعالى : « فليتبعوا ما نزلنا من الذكر » .
منهم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ، رحمه الله تعالى ، نسفنا نسفنا
فهذا الزاهد المشهور بشر بن الحارث الحافي ، رحمه الله ، يعدد ثلاث خصال امتاز بها الإمام أحمد ، وفُضِّل بها عليه ، وقصر هو عنها ، أحدها : « أنه نصب إماماً للعامة » .
لم يحمله علمه على حصر نفسه بين الجدران ، بل نزل إلى الجموع ، وقادها في مواقفها في معارضة الجهمية والمعتزلة الذين أرادوا خرف عقيدة الأمة ببدعة خلق القرآن ، ونازع الدولة كلها حين أرادت فرض البدعة بالقوة ، حتى نصره الله بالمتوكل . وإنما نعني بالعامة جمهور الناس ، المثقف منهم والأمي ، لا الاصطلاح الحادث الذي يعني الجهال .
وقد كان إمام أهل السنة يترصد أحوال الرجال في المجتمع فيحتك بهم ، ويتعرف عليهم ، ويزورهم .
« كان إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد ، أو قيام بحق ، أو اتباع للأمر : سأل عنه ، وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة ، وأحب أن يعرف أحواله » ^(١) .
نعم ، لا يكون رجل عامة إلا من فتش عن الناس وبحث عنهم ، وسأل عن أخبارهم ، ورحل للقائهم ، وزارهم في مجالسهم ومنتدياتهم .
وقد بلغ الإمام أحمد الغاية والمنزلة القصوى ، فقد كان « موسى بن حزام - شيخ البخاري والترمذي - في أول أمره ينتحل الإرجاء ، ثم أعانه الله بأحمد بن حنبل ، فانتحل السنة وذب عنها ، وقمع من خالفها ، مع لزوم الدين حتى مات » ^(٢) . « وهذه الكلمات تحوي من معاني الدعوة

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢١٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٣٤١/١٠ .

شيئاً كثيراً وسلاماً ، فجاءه رجل بهيمة : (يعني مجالساً بها) .
 إن تغيير عقيدة موسى بن حزام لم يتم بالأمانى المجردة ، فقد لزم
 الإمام أحمد أن يجلس معه المجالس ، مناقشاً له برفق وسكينة ، وحكمة
 وموعظة حسنة ، حتى استطاع صرفه عن بدعة الإرجاء ، ثم مجالس أخرى
 علمه فيها السنة ، ثم مجالس أخرى بعث فيه همة عالية استمر معها حتى
 موته بالدفاع عن السنة ، وقمع مخالفها من أهل البدع والشهوات .
 إنه كذلك طريق الدعوة وسبيل خدمة الإسلام ، وكذلك كان سلفنا من
 دعاة الإسلام : لا بد لك من ترك زوجك وأولادك ، ومجالس الدنيا وهموم
 التجارة ، بضع ساعات في كل يوم ، تتوجه فيها إلى الله ، داعياً أن يعين بك
 ضالاً من ضحايا الطواغيت فهديه ، أو يعين بك يائساً جامداً ، يستهلكه الحزن
 على واقع المسلمين وتقيدته همومه الدنيوية ، فتحركه وتغطه غطاءً .
 إنها غطة العزم .

غط جبريل عليه السلام نبينا محمداً ﷺ ثلاثاً في غارة حراء ، في
 أول لحظات نبوته ، فضمه إلى صدره ضمناً شديداً ، ثم قال له : ﴿ اقراً
 باسم ربك الذي خلق ﴾ وغط النبي ﷺ ابن عمه عبد الله بن عباس ،
 فضمه إلى صدره ، وقال : « اللهم علمه القرآن » .
 وغطك الدعاء .

وعليك أن تغط غيرك هذه الغطة الواجبة ، التي تضع حداً فاصلاً
 بين عهد الرخاوة ، وعهد حمل الأمانة بحزم وعزم ووفاء .

لقد أعان الله - تعالى - بأحمد بن حنبل آلاف من مثل موتى بن
 حزام ، وبهم استطاع أن يرد فتنة وكيد الجهمية والمعتزلة وينصر السنة ،
 فكم يا ترى سيعين الله بك اليوم من تردُّ بهم كيد الشرق والغرب ^(١) .

(١) المنطلق ص ١٢٧ - ١٢٩ .
 (٢) ...
 (٣) ...
 (٤) ...

قال ابن الجوزي : تاب علي يدي مائة ألف ، وأسلم علي يدي عشرون ألفاً .

الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام :

وصفوه بأنه كان « رجل عامّة »^(١) .

يقول أبو إسحاق الفزاري : « ما رأيت مثل الأوزاعي والثوري ، فأما الأوزاعي فكان رجل عامّة ، وأما الثوري فكان رجل خاصة ، ولو خيرت هذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي »^(٢) .

« بلغ الثوري وهو بمكة مقدم الأوزاعي ، فخرج حتى لقيه بذي طوى ، فلما لقيه حل رسن البعير من القطار ، فوضعه على رقبته فجعل يتخلل به ، [ومالك بن أنس يسوق به] ، فإذا مرّ بجماعة قال : الطريق للشيخ »^(٣) .

وأبو إسحاق الفزاري الإمام :

كان رجل عامّة :

« قال إبراهيم بن سعيد الجوهري : قلت لأبي أسامة : أيهما أفضل : فضيل بن عياض أو أبو إسحاق الفزاري ؟ فقال : كان فضيل رجلاً نفسه ، وكان أبو إسحاق رجلاً عامّة »^(٤) .

الله أكبر : « الفضيل بن عياض » الذي كان ابن عينة يقبل يده ، الفضيل : سيد المسلمين في وقته ، كما يقول ابن تيمية ، الفضيل الذي قال

(١) تهذيب التهذيب ٢٤١/٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١٣/٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١١٢/٧ ، والبداية والنهاية ١١٦/١٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٤٣/٨ .

فيه ابن المبارك : « إذا نظرت إلى فضيل : جدد لي الحزن ومقت نفسي » .
ومع هذا يعلوه مرتبة الفزاري في رأي أبي أسامة ؛ لأنه كان رجل عامة .
« قال ابن مهدي : كان الأوزاعي والفزاري إمامين في السنة .
وقال أبو حاتم : اتفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمام يقتدى
به بلا مدافعة .

يروى أن هارون الرشيد أخذ زنديقاً ليقتله ، فقال الرجل : أين أنت
من ألف حديث وضعتها ؟ قال : فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق
الفزاري وابن المبارك يتخللانيها ، فيخرجانيها حرفاً حرفاً .
قال أبو صالح الفراء : لقيت الفضيل بن عياض ، فعزاني بأبي إسحاق
وقال : ربما اشتقت إلى المصيصة ، ما بي فضل الرباط إلا أن أرى
أبا إسحاق ، رحمه الله »^(١) .

« وهو الذي أدب أهل الثغور الإسلامية التي في أعالي بلاد الشام
والجزيرة تجاه الروم ، وعلمهم سنن النبي ﷺ ، وكان يأمر وينهى ، وإذا
دخل الثغر رجل مبتدع ، أخرجه »^(٢) .

وخالد بن عبد الله الواسطي :

أحد المحدثين الثقات من شيوخ البخاري ، وصفوه بأنه كان « رجل
عامة »^(٣) .

والإمام الزهري زعيم المحدثين :

رأى أجيالاً من أهل الحواضر الإسلامية ، وجعلهم أئمة في الحديث ،

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٥٤١ - ٥٤٣ .

(٢) تهذيب التهذيب ١/١٥٢ .

(٣) تهذيب التهذيب ٣/١٠٠ .

وما كان ذلك يكفيه، بل « كان ينزل بالأعراب يعلمهم »، يحفظ من بقي صحيح العقيدة، ويتلطف مع من نجح أهل البدع في حرفه، فيرجعه إلى التوحيد.

وحدد آخرون سيرة الزهري، منهم الفقيه الواعظ أحمد الغزالي، أخو الإمام صاحب الإحياء، فإنه كان « يدخل القرى والضياع، ويعظ لأهل البوادي تقرُّباً إلى الله »^(١). الانحلاع عن الفردية والتعاون على البر والتقوى من علو الهمة في الدعوة: أخي: « أأست تبغي القرب منه؟ »

فاشتغل بدلالة عبادته عليه، فهي حالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أما علمت أنهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد؛ لعلمهم أن ذلك أثر عند حبيبهم؟^(٢).

فواصل الخطو على دربهم تصل، قال تعالى: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ... ﴾ الآية يوسف: ١٠٨ وهذا من أتم النصوص في التعاون على البر والتقوى.

قال تعالى: ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ... ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٦].

قال ابن القيم: « فالرَّبِّيُّون هنا: الجماعات، بإجماع المفسرين، قيل: إنه من الرِّبَّة، بكسر الراء: وهي الجماعة. قال الجوهرِيُّ: الرَّبِّيُّ واحدُ الرَّبِّيِّين، وهم الألوف من الناس »^(٣).

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٦/٦٢، المنطلق ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٣٨.

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/١٥٤.

وورثة هذا النبي له وأولئك الأنبياء ، لهم أسوة حسنة بهم ، لا يتفردون ، بل يسرون ألوفاً .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية الذي سبق عصره ، الفقيه العظيم الذي سبّر المقاصد العامة لدين الله : « وأما لفظ « الزعيم » فإنه مثل لفظ : الكفيل والقبيل والضّمين ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٢] فمن تكفل بأمر طائفة فإنه يقال : هو زعيم . فإن كان قد تكفل بخير ، كان محموداً على ذلك ، وإن كان شراً ، كان مذموماً على ذلك .

وأما « رأس الحزب » فإنه رأس الطائفة التي تتحزب ، أي تصير حزباً ، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان ، فهم مؤمنون ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا ، مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل ، والإعراض عن من لم يدخل في حزبهم ، سواء كان على الحق أو الباطل ، فهذا من التفرق الذي ذمّه الله تعالى ورسوله ، فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ، ونهيا عن الفرقة والاختلاف ، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان ^(١) .

نعم للتعاون على البر والتقوى ولا للتحزب المفرق ، لا بد أن يكون ولاء الداعية لله ورسوله ﷺ فوق أي شعار ، وإلا فدعوها فإنها منتنة .
الداعي عالي الهمة من يقول : ها أنا ذا :

وسط رياح الجاهلية التي تصفر صفيراً شديداً في ديار المسلمين الخالية ، لا بد من وجود الداعي عالي الهمة ، الذي يصرخ بالمسلمين

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٩٢/١١ .

(٢) « سبّر المقاصد » ص ١٠٠ .

مُستنهضًا ، فيعلو هتافه على صفيها ، يهدر بنشيد الإسلام الجديد الذي يشوق المسلمين سماعه ... يعرف طريق العودة الصحيح ، ويفقه واقع المسلمين ، ويعلم سنن الله في الكون ، ويعلم دينه جيّدًا ، يدق صدره ويعلي صوته لسمعته المسلمون ، ويقول : ها أنا ، فيلتفون حوله ويميّزون صيخته ونبرة تكبيره .

في مثل فترات الدّھول التي تعيشها الأمة ، وغيبوبتها عن إدراك ذاتها ، الأمة بحاجة إلى داعٍ يقول : « ها أنا » تعني إدراك الطريق الصحيح ، الذي يبدأ من تربية الفرد على معاني العقيدة الإسلامية الصافية ، فالأمة تولد من دعوة رجل واحد فقيه ذي همة ، كما قال إقبال في ديوانه « الأسرار والرموز » ص ١٠٨ : « تولد الأمة من قلب جليل » .

صفاء عقائدّي وتجرد سلوكي .

« لا بد من طليعة تعزم هذه العزمة وتمضي في الطريق » .

البعث الإسلامي والعودة الإسلامية « إنما تتحقق بأن تحمل المنهج جماعة من الدعاة تؤمن به إيمانًا كاملاً ، وتستقيم عليه بقدر طاقتها ، تجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك » ^(١) .

« وهذه الطلائع هي الطلائع الموفقة الفائزة ، التي سيندم من لم يلتحق بها منذ الآن ، وسيتوجع كما توجع الصحابي ذو الجوشن الضبابي رضي الله عنه ، حين لم يسلم إلا بعد فتح مكة ، وقد كان رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام بعد بدر ، فقال له : هل لك إلى أن تكون من أوائل هذا الأمر ؟ قال : لا . قال : فما يمنعك منه ؟ قال : رأيت قومك كذبوك وأخرجوك وقتلوك ، فانظر ، فإن ظهرت عليهم آمنت بك واتبعتك ، وإن ظهروا عليك

(١) « هذا الدين » لسيد قطب ص ٧ .

لم أتبعك ، فكان ذو الجوشن يتوجع على تركه الإسلام حين دعاه إليه رسول الله ﷺ .

وكم من أناس لا يعدو منطقهم منطق ذي الجوشن ، يدعوهم واقع الدعوة الإسلامية إلى أن يكونوا الأوائل والمقدمة والنُّبلاء والقادة ورؤس النَّفِيضة ، فيأبون إلا أن يكونوا مؤخرة ، وكم من إصبعٍ سيعضّ ندمًا يوم يختار الله الطلائع السائرة لإتمام نوره «^(١)» .

« إن لأفراد المسلمين وللدعاة أسوةٌ وقُدوةٌ في الحوار الشريف بين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، حين أمر الله إبراهيم ببناء الكعبة . قال إبراهيم عليه السلام : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمرٍ . قال : فاصنع ما أمرك ربي . قال : وتُعِينِي ؟ قال : وأُعِينِكَ .

فهذا جواب المؤمنين دومًا بلا تَلَكُّؤٍ ولا تَلَعْمٍ ، وإن الله قد أمر بنشر دينه وإعادة حكمه ، ويجب أن تكون هذه الأعوان غير متخلفة ، وامض وبادر ، وكن وريث إسماعيل ، لا تقعد في بيتك ، لا تسمع نداء مستقبلك الوظيفي والتجاري ، فهنا في هذه الإجابة الإسماعيلية رأس مالك الحقيقي »^(٢) .

لقد بكى رسول الله ﷺ عند قتل حمزة ، وقال : « ولكن حمزة لا بواكي له » . ألا مِنْ رجلٍ يحمل همَّ الإسلام في غربته ، ودعوة الإسلام ، أو يندب النادب ويقول : « ولكن الإسلام لا بواكي له » . يا له من دين لو أن له رجالًا .

إن الدعوة إلى الله لا تقوم على أكتاف ضعفاء ليس لهم إرادة ولا همّة ... لا تزدد بأن نجتمع ونضمّ أصفارًا بعضها إلى بعض .

(١) المنطلق ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) المنطلق ص ١٦٧ - ١٦٨ .

لا بد من تربية الأفراد والدعوة .. وقلوب تضيء للسالكين وتتوقد شوقاً للعمل لدين الله .

قلوب الأحرار ، لا أنوار الثريّات ، نار العزم لا غيرها .
تنصب خيمتك في صحراء جاهلية القرن العشرين ، وتضرم نارك ليراها التائهون والمنقطعون فيقصدونها وينزلون خيمتك ، وتنادي ابتك لُبَيْتِي لتزيد لهب النار وتعلمها :

أوقدي علّ على النار هُدى	يا لُبَيْتِي أوقدي طال المدى
أوقدي النار لأبناء السبيل	أوقدي يا لُبْنَ قد حار الدليل
علّ هذا الرُّكْب يعشو شطرها	ارفعي النار وأذكي جمرها
أرشدني هذا الفَراش الهائم	شردي هذا الظلام الجائما
حبّذا المُؤنس هذا الموقدُ	حبّذا النار بليل تُوقدُ
لو حوانا في سفارٍ منزل	حبذا عندك هذا النزلُ
إنما النيران أعلام الطريق	ما لذّا المنزل قد سار الفريق
زوّدي يا لُبْنَ من هذا اللّهب ^(١)	زودينا بهيامٍ ووجيب

أوجه الخير ووسائل الدعوة كثيرة لا نحقرها ، وكيف وقد أعلى من قدرها رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا »^(٢) ، وقوله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة ، والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله »^(٣) .

(١) لغزام من قصيدة « اللمعات » التي ألحقها بترجمته لديوان « رسالة المشرق » لإقبال .

(٢) رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي عن سهل بن سعد .

(٣) صحيح : رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٤٧٦) .

وبناء المساجد والمدارس والمصانع وحفر الآبار ، وأولى من هذا كله مصاولة الابتداع وأعداء الإسلام ، وكشف زيف الماسونية والعلمانية والزنادقة ، ونشر العلم والسنة أولى وأولى .

فقد جاء زهير بن أبي زهير تلميذ الإمام أحمد بن حنبل يسأله : « إن فلانا ربما سعى في الأمور ، مثل المصانع والمساجد والآبار ؟ قال : فقال لي أحمد : لا، نَفْسُهُ أولى به . وكره أن يبذل الرجل نفسه ووجهه »^(١) .

فهناك بونٌ وبُعدٌ شاسع بين الجاهدين : جهد السعي المجرد في مصالح الناس مهما أتعب البدن . وجهد مواكبة الدعوة في شمولها مواكبةً تستهلك البدن ، وتُرهق الفكر ، وتمتصّ رحيق الروح .

الداعي عالي الهمة يرفع للخير رايةً ، وينوي المراقبة للدعوة :

نعم يا أخي ، ارفع للخير راية ، تكبيراً يَنْبَهُ وناراً تُلْفِت ، يبصرها أهل الخير فيتجمعون حولها ، فالجاهلية إن نظمت صفوفها ﴿ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّوَا صَفًّا ﴾ فأحرى بدعاة الحق والإسلام التجرد المطلق له ، إن في الناس نزعاتٍ للحق كامنة ، وعاطفة للإسلام مستسيرة ، فاصبر لدعوة الإسلام ، وانوِ المراقبة ، فهذه أرض الإسلام لا تترك لغيره .

شأن الداعية الحرّ دوماً أن يصير على المقام والدعوة في دار الإسلام وإن علا صوت الباطل فيها ؛ ليلتقط من مجتمع مُسْتَحْزِرٍ فتیاناً صباح الوجه والمقاصد ، لم يُصب قلوبهم وأبدانهم شيءٌ من دنيس الجاهلية وأمراضها وحرامها ، ويربّتهم ويغرز فيهم العمل لدعوة الإسلام وعزّه .

(١) طبقات الحنابلة ١/ ١٥٩ .

« نعم في المجتمع المستخزي الذي طال خضوعه للطغيان تجد :
 النفس تميل إلى الإسفاف ، وتخلد إلى الراحة ، وتهوى الهين من كل أمر .
 ولكن في النفس - على هذا - نزوعاً إلى العلاء وشغفاً بالارتقاء ،
 وحينئذٍ إلى المكارم ، وشوقاً إلى العظام .

إن فيها لجمرةً يغطيها الرماد ، وشرارة يقدحها الزناد ، فإن وجدت
 نافخاً في جمرها ، وقادحاً لشررها ، استيقظت ، وتحفزت ، وعملت ،
 وصعدت ، وكلما ذاقت لذة العمل والرقى ، زادت حباً له ، وهياماً
 به ^(١) .

ولهذا فإن المهاجر مخطيء ، إلا هجرة صاحب سرٍّ يخشى عليه ، أو
 هجرة صاحب فقه إلى من يحتاج إليه ، أو هجرة من يخشى الفتنة في دينه .
 تُرباط في ديار الإسلام التي فتحها عمرو ، وعاش فيها الشافعي ،
 ونشأ بها الليث ، وأخرجت العسقلاني والطحاوي والسيوطي .

بلاد الليث مأوى الشافعي أتركها لفكر المارقينا
 سيوطي الحديث ينوح يكي وحافظنا يجاوبه أنينا
 ينادي العسقلاني يا بلادي أضعت الهدى كنا حافظينا
 فيا فسطاط عمرو العاص عودي يعود الطير كم نزع السنينيا
 عن سهل بن سعد : قال صلى الله عليه وسلم : « رباط يومٍ في سبيل الله خيرٌ من
 الدنيا وما عليها ... » . رواه البخاري وأحمد والترمذي .

أخي : إن الأرض لا تقدس أحداً ، وإنما يقدس العبد عمله كما قال
 سلمان لأبي الدرداء: ... إنما تقدسنا الدعوة والمرابطة عليها في ديار الإسلام .

(١) دراسات إسلامية لسيد قطب ص ٢٩ ، والمنطلق لمحمد أحمد الراشد ص ١٩٠ ،

لم نعرف الإسلام إلا دعوةً وضاعةً تُحيي الأنام وتُلهيهم
 قيل لأحد فحول الرجال : « لنا حَويجة » ، فقال : « اطلبوا لها
 رَجِيلاً » . فالرجيل تشبع نفسه بعمل اليسير ، أما الرجل فهو من كانت
 همته عالية ، قد رصد نفسه لضخام الأعمال ، ويأنف من صغارها .
 وإن هذه الدعوة - والله - لهي شأن الرجال حقاً الذين يضم سربهم
 كل مقدم ، أما أهل السكوت والخرس فليس فيهم إلا رويجل .
 قالوا : السعادة في السكون وفي الخمول وفي الخمود
 في العيش بين الأهل لا عيش المهاجر والطريد
 في المشي خلف الركب في دعة وفي خطوٍ وثيد
 في أن تقول كما يُقا لَ فلا اعتراض ولا رُدود
 في أن تسير مع القطيع مع وأن تُقاد ولا تقود
 في أن تصيح لكل وال عاشر عهدكم المجيد
 قلت : الحياة هي التحرُّك لا السُّكون ولا الهمود
 قلت : السعادة أن تُبْلَغ دين ذي العرش المجيد^(*)
 وهي التَّلذُّذ بالمتاع عب لا التَّلذُّذ بالرقود^(١) .
 الدعوة لدين الله بيعة قديمة مع الله :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ
 جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ
 إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ . [آل عمران : ٨١] .
 قال ابن عباس : « ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بُعث
 محمدٌ وهو حيٌّ ليؤمننَّ به ولننصرنَّه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أُمَّته ؛
 لئن بُعث محمدٌ وهم أحياء ليؤمننَّ به ولننصرنَّه » .

(١) قصيدة للقرضاوي سوى هذا البيت المشار إليه بالعلامة * .

وإذن فالبيعة علينا نحن الآن من ورثة محمد ﷺ أوجب وأظهر ،
إلزاماً وألوية .

وقال الله تعالى : ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتُعزروه وتوقروه وتسبحوه
بكرةً وأصيلاً ﴾ .

فالدعوة إلى الله ونصرة رسوله بيعة مع الله وعهد معه ، ورحم الله
الزاهد جعفر الخلدي البغدادي حين قال : « ما عقدتُ لله على نفسي عقداً
فنكثته »^(١) للدعاة في عهدهم سمت الوفاء ، فهل نوفي الله بعهده وبيعته .

كان ابن المبارك يتمثل ببنتين كلما خرج لصالحه ، فيقول :
بُغض الحياة وخوف الله أخرجني وبيع نفسي بما ليست له ثمناً
إني وزنتُ الذي يبقى ليعدله ما ليس يبقى فلا والله ما أثرتنا^(٢)

يا لها من صرخة في المشرق كان ابن الجوزي إمام الدعاة يمدُّ بها صوته
على شاطئ دجلة ببغداد ويهتف : « أول قدمٍ في الطريق : بذل الروح ،
هذه الجادة ، فأين السالك »^(٣) .

وقالها زويم البغدادي : « هو بذل الروح ، وإلا فلا تشتغل بترهات »^(٤) .
نعم ، بذل الروح للدعوة لدين الله .

الداعية عالي الهمة ليس من أصحاب العقول المستريحة :
قال أحمد بن داود أبو سعيد الواسطي : « دخلت على أحمد الحبس

(١) تاريخ بغداد ٢٢٩/٧ .

(٢) تاريخ بغداد ١٦٦/١٠ .

(٣) المدهش لابن الجوزي ص ٢٩٩ .

(٤) تلبس إبليس لابن الجوزي ١٨٣ .

قبل الضرب ، فقلت له في بعض كلامي : يا أبا عبد الله : عليك عيال ، ولك صبيان ، وأنت معذور . كأني أسهل عليه الإجابة ، فقال لي أحمد ابن حنبل : إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد ، فقد استرحت ^(١) .

وما أكثر ما يقال مثل هذا للدعاة اليوم ، وما أكثر من يفهم الإسلام ثم يحدث نفسه بمثل هذا ، فيجبن وينزوي ولا يُشارك الدعاة سيرهم . وإنما هو حديث من استراح ، كما يقول الإمام أحمد ، وأما من لدغ واقع المسلمين قلبه ، فأنى له الراحة؟! وأنى يدع لصبيانه وزوجه تحذيله وتقيدته عن الاندفاع للدعوة لدين الله؟ وهل الموت إلّا في آجال؟ إن عهد الدعوة لن يقدم أجلاً ولكنه يرفع إلى الفراديس .

فإن لم يكن المسلم مع أحمد ، أو مع ورثة أحمد ، وقعد لعذرٍ أو شبه عذرٍ ، فإنه مطالبٌ بالأسف وازدراء نفسه على الأقل ، ألا يكون مع القوم الدعاة العاملين ، كما قيل للزاهد بشر بن الحارث الحافي يوم تعذيب أحمد بن حنبل : « قد ضرب أحمد بن حنبل إلى الساعة سبعة عشر سوطاً . فمدّ بشر رجله وجعل ينظر إلى ساقيه ويقول : ما أقبح هذا الساق أن لا يكون القيد فيه نُصرةً لهذا الرجل » ^(٢) .

إن المسلم الصادق إن عذر نفسه وأفتاها بالتخلف عن ركب الدعاة ، خوفاً من الفتنة ، وبطش الطغاة « أو لنوع ضرورةٍ أو ضعفٍ يدرية من نفسه ، أو شبهة ، عرف ما يوجبه ذلك من التواضع وترك التطاول على الدعاة ، ويظل يتهم نفسه في اجتهاده ، ويمنح الصابرين المقتحمين المتجردين للدعوة لساناً جميلاً ، يكون لهم فيه نوع سلوةٍ وراحة ، وأما أسير هواه فيجادل ويثرثر ، ويقذف لسانه بكل لفظٍ صلب ، ألا يوصف بتخلفٍ ،

(١) طبقات الخبابة لأبي يعلى ٤٣/١ .

(٢) مناقب أحمد ، لابن الجوزي ص ١١٩ .

فيجمع بجذاله نقصاً إلى نقص ، والعياذ بالله ^(١) .

ليس على الداعية غير البلاغ :

عجبتُ لهم قالوا : تماديت في المنى وفي المثل العليا وفي المرتقى الصعب
فاقصُرْ ولا تُجهد يَرَاكَ إِنَّمَا سَتَبْدُرُ حَبًّا فِي ثَرْوَى لَيْسَ بِالْخَصْبِ
فَقُلْتُ لَهُمْ مَهْلًا فَمَا الْيَأْسُ شِمَمِي سَابُدِرُ حَبِّي وَالثَّمَارُ مِنْ الرَّبِّ
إِذَا أَنَا أَبْلَغْتُ الرِّسَالَةَ جَاهِدًا وَلَمْ أَجِدِ السَّمْعَ الْحَبِيبَ فَمَا ذَنْبِي ^(٢)
يقول سيد قطب عن الدعاة : « أَجْرَاءُ عِنْدَ اللَّهِ ، أَيْنَا وَحَيْثَا وَكَيْفَمَا
أَرَادَهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا ، عَمَلُوا وَقَبَضُوا الْأَجْرَ الْمَعْلُومَ ! وَلَيْسَ لَهُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ أَنْ
تَتَجَهَّ الدَّعْوَةُ إِلَى أَيْ مَصِيرٍ ، فَذَلِكَ شَأْنُ صَاحِبِ الْأَمْرِ ، لَا شَأْنُ الْأَجِيرِ » ^(٣) .
﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ :

قال ابن القيم في « الروح » ص ٢٥٢ : « ذكر سبحانه عباده الذين
اختصهم لنفسه ، وأثنى عليهم في تنزيله ، وأحسن جزاءهم يوم لقائه ،
فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم ، ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ
لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] .
فسألوه أَنْ يُقَرَّ أَعْيُنُهُمْ بِطَاعَةِ أَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ لَهُ سُبْحَانَهُ ، وَأَنْ يَسِرَّ قُلُوبَهُمْ
بِاتِّبَاعِ الْمُتَّقِينَ لَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ » .

الداعي عالي الهمة لا تشغله الدعوة عن عبادته :

لا بد من التوازن بين حق النفس من التربية والعبادة ، وبين حق

(١) المنطلق ص ٢٣٣ .

(٢) للقرضاوي - مجلة «المباحث المصرية» عدد ٣١ سنة ١٩٥١ ، المنطلق ص ٢٣٧ .

(٣) معالم في الطريق ص ١٨١ .

المدعوين ؛ فإن الداعي قد ينغمس بكل خلجة فيه إلى تربية الذين يدعوهم وينسى نفسه ، قال عليه السلام : « مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه ، كمثل السراج يُضيء للناس ويحرق نفسه »^(١) .

قال ابن المنكدر : « العلم يهتف بالعمل ، فإن أجابه ، وإلا ارتحل » . فلا بد على الداعي أن يأخذ بالقسط الوافر من العلم والعبادة ؛ من قيام وصيام وذكر ، وإلا قسا القلب .

الربانية على نهج السلف علو همة ، والأسوة هي علم الدعوة : باطلٌ ظنٌّ مَنْ يتوهم عدم وجوب شرط القدوة ، كيف وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

قال مجاهد : هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره ، فهم أهل الأمر والنهي .

قال ابن تيمية : « وذلك هو المنقول عن السلف في الرباني : نقل عن عليّ قال : هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها . وعن ابن عباس قال : هم الفقهاء المعلمون . وقلت : أهل الأمر والنهي هم الفقهاء المعلمون . وقال قتادة وعطاء : هم الفقهاء العلماء الحكماء .

قال ابن قتيبة : واحدهم ربّاني ، وهم العلماء المعلمون ... » . ثم ختم فقال : إنهم « منسوبون إلى التربية »^(٢) .

قال ابن تيمية : (٦١/٥) : إن الرباني منسوب إلى الرّب ، فزيادة الألف والنون كاللحياني ، وقيل : إلى تربية الناس ، وقيل : إلى ربّان السفينة ،

(١) إسناده صحيح . أخرجه الدارمي والترمذي وقال : حسن صحيح ، وقال

الألباني : إسناده صحيح . انظر : اقتضاء العلم العمل ص ١٦ ، ١٧ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦٣/١ .

وهذا أصح ، فإن الأصل عدم الزيادة في النسبة لأنهم منسوبون إلى التربية ، وهذه تختص بهم ، وأما نسبتهم إلى الرب فلا اختصاص لهم بذلك ، بل كل عبد له فهو منسوب إليه .

وهي تدل على إيمانٍ وعبادةٍ وتألٍّ .

قال ابن الحنفية لما مات ابن عباس : اليوم مات ربّاني هذه الأمة ، وذلك لكونه يؤدّبهم بما آتاه الله من العلم .

قال إبراهيم : كان علقمة من الرّبّانيين .

وفي الرّبانيين :

قال سعيد بن جبير : حكماء أتقياء .

وقال الحسن : فقهاء علماء . وقال : لولا العلماء لصار الناس

كالبهائم .

قال ابن القيم :

« وأولى الأقوال عندي بالصواب ، أنها جمع رباني ، وأن الرباني المنسوب إلى الربان الذي يربي الناس ، وهو الذي يصلح أمورهم ويربها ويقوم بها .

قال علقمة بن عبد :

وكنْتُ امرأً أَفْضَتْ إِلَيْكَ رَبَّاتِي وَقَبْلَكَ رَبَّتِي فَضِغْتُ رَبُوبُ

رَبَّتِي : ولي أمري والقيام به قبلك من يربه ويُصلّحه .

رب أمري فلان فهو يربه ربًّا وهو رابه ، فإذا أُريد به المبالغة في

مدحه قيل : هو ربان » .

وعلى أساس التربية الإسلامية الصافية من نبع الكتاب والسنة بفهم

السلف وذوقهم يكون المدح ، وإلا فالربانيون يذمون تارة ويمدحون تارة ،

والخلفاء أفضل ولم يسموا ربانيين .

فكل قدوة ومرب على غير فهم السابقين نقول له : « اقصد البحر واخل القنوت » . فحيث يشع النور ، ويهتدي المدعو برؤية الداعي قبل كلامه . « لما هم إمام مصر الليث بن سعد بفعل مفضل ينافي العزيمة ، قال له يحيى بن سعيد الأنصاري : لا تفعل ؛ فإنك إمامٌ منظورٌ إليك » . ويرحم الله من قال : « من لم تهذبك رؤيته ، فاعلم أنه غير مهذب ، ومن لم ينشك عبيره على بعد ، فاعلم أنه لا طيب فيه ، فلا تتكلف لشمه » .

والداعية الصادق تستمر هيئته الإيمانية في تعاظم ، وتظل في تصاعد ما تصاعدت هيئته لله تعالى وتعاظمت اهتمامات قلبه بدعوته ، حتى يغدو منظره قاطعاً لغفلة ناظره .

وقال الشافعي : من وعظ أخاه بفعله كان هادياً .

وكان عبد الواحد بن زيد يقول : « ما بلغ الحسن البصري إلى ما بلغ ، إلا لكونه إذا أمر الناس بشيء ، يكون أسبقهم إليه ، وإذا نهاهم عن شيء ، يكون أبعدهم منه » . وقد قيل : « من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه » ^(١) .

نعم : من لا ينتفع بصمت العالم لا ينتفع بعلمه .

« إن الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثر مما يكلمهم بلسان قوله ، فإذا نظر الصادق إلى تصاريفه في مورده ومصدره ، وخلوته وجلوته ، وكلامه وسكوته ، ينتفع بالنظر إليه ، فهو نفع اللحظ ، ومن لا يكون حاله وأفعاله هكذا ، فلفظه أيضاً لا ينفع . ونورانية القول على قدر نورانية القلب ، ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها » . وهذا من جيد الكلام .

ومثله من كلام التابعين قول شهر بن جوشب : « إذا حدث الرجل القوم ، فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه » .

وقال مالك بن دينار : « إن العالم إذا لم يعمل بعلمه ، زلت موعظته عن القلوب ، كما تزل القطرة عن الصفا » .

ويرحم الله الرافعي ، حيث قال : « إن الموعظة إن لم تتأد في أسلوبها الحي كانت بالباطل أشبه ، وإنه لا يغير النفس إلا النفس التي فيها قوة التحويل والتغيير ، كنفوس الأنبياء ، ومن كان في طريقة روحهم ، وإن هذه الصناعة إنما هي وضع نور البصيرة في الكلام ، لا وضع القياس والحجة ، وإن الرجل الزاهد الصحيح الزهد إنما هو حياة تلبسها الحقيقة لتكون به شيئاً في الحياة والعمل ، لا شيئاً في القول والتوهم ، فيكون إلهامها فيه ، كحرارة النار في النار ، من واتاها أحسها .

ولعمري ، كم من فقيه يقول للناس : هذا حرام ، فلا يزيد الحرام إلا ظهوراً وانكشافاً ، ما دام لا ينطق إلا بنطق الكتب ، ولا يحسن أن يصل بين النفس والشرع ، وقد خلا من القوة التي تجعله روحاً تتعلق الأرواح بها ، وتضعه بين الناس في موضع يكون به في اعتبارهم كأنه آتٍ من الجنة منذ قريب ، راجع إليها بعد قريب .

والفقيه الذي يتعلق بالمال وشهوات النفس ، ولا يجعل همه إلا زيادة الرزق بالمال وشهوات النفس ، وحظ الدنيا ، هو الفقيه الفاسد الصورة في خيال الناس ، يفهمهم أول شيءٍ ألا يفهموا عنه ^(١) .

« إن الأسوة وحدها هي علم الحياة » ^(٢) .

ودعوتنا هي الحياة .

(١) ، (٢) وحي القلم للرافعي ٢/٢٠١ ، ٢/١١١ .

فالأسوة وحدها علم الدعوة .

وعلم الدعوة كله هو الأسوة الصادقة^(١).

أخي : إن الواو والراء والذال لا يشم منها رائحة الورد ، فكن بالخير موصوفاً ولا تكن للخير وصافاً .

« إن عمر بن الخطاب أبقى معه الأحنف بن قيس - وكان متكلماً لبقاً داهية - في المدينة سنة يراقبه ، ثم قال له : يا أحنف ، قد بلوتك وخبرتكَ ، فلم أَرِ إلَّا خيراً ، ورأيت علانيتك حسنةً ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، فإننا كنا نتحدث : إنما يهلك هذه الأمة كل منافقٍ عليمٍ »^(٢) .

كم من المتكلمين بالإسلام ترى الدعاية ترفعه ، فإذا عاملته وجدته مصلحياً جاف القلب والروح . وحقاً قال عبد الوهاب عزام :

إن في الناس أوجُهاً لامعاتٍ تملأ العين زهرة ورواءٍ
ويراها البصير صورة زهر لم تهبها الحياة عطراً وماءً^(٣)

ومثل هذا دأب السلف الصالح على كثرة التوصية بضرورة مثل هذا الاختبار ، كقول الحسن البصري : « اعتبروا الناس بأعمالهم ، ودعوا قولهم ، فإن الله لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يصدقه أو يكذبه ، فإذا سمعت قولاً حسناً ، فرويداً بصاحبه ، فإن وافق قوله عمله فنعم ، ونعمة عني ، فأخيه ، وأخيه ، وأودده ، وإن خالف قولاً وعملاً ، فماذا يشبه عليك منه ، أو ماذا يخفى عليك منه ؟ ! إياك وإياه ، لا يخدعك »^(٤) .

(١) المنطلق ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ٩٤/٧ .

(٣) ديوان المثاني ص ٨١ .

(٤) الزهد لابن المبارك ص ٢٦ .

« إنها الوصية القديمة ، ولكن القلوب تغفل ، وشهوة الوصول السريع ، أو شهوة التكاثر بالأنصار ، تلهي ، وتدعو إلى التجاوز عن العلم الموروث »^(١).

عالي الهمة من الدعاة ليس هدفه التجميع القطيعي :

« من المزالق أن تسير الدعوة وراء رجل الشارع حريصةً عليه قبل حصول المقدار اللازم من الوعي الإسلامي والعدد الكافي من أصحاب التربية الصلبة .

إن المتولعين بالسياسة من الدعاة ، يريدون للدعوة أن تدخل في سباق مع الأحزاب لاكتساب رجل الشارع ، والغوغاء ، والدهماء ، والمصفقين ، الذين هم مادة الأحزاب الجاهلية الأرضية وعنصر حياتها ؛ لأن هذه الأحزاب تستطيع أن تبدل وتحور برامجها وفق طلبات هؤلاء ، وتبعاً لاستهلاك السوق . أما الدعوة الإسلامية ، فما بمثل هؤلاء تنتصر ، وما بمثل هؤلاء تغير مجرى الحياة. إن التجميع القطيعي ممكنٌ ، لكنه لا يستمر طويلاً »^(٢).

يقول الشيخ البنا : « التدرج في الخطوات وانتظار الزمن وعدم التسرع بالنتائج ، فلكل أجل كتابٌ » . والزمن جزء من العلاج ، وهذا يقي الدعوة المصارع .

إن الطريق التربوي : صعب ... طويل ... بطيء . يسبقنا فيه الأرضيون لوقتٍ ... يسقط فيه بعضنا ... وتفوتنا بعض المغام فيه ... لكنه طريقٌ مأمون ، ثابت ، مضمون .

طريق واحد أصيل لا ثاني له : « أقيموا دولة الإسلام في صدوركم .. تقم في أرضكم » .

(١) المنطلق ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

(٢) المنطلق ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

إنك واجدٌ كثيرًا من الدعاة الإسلاميين والجماعات الإسلامية ،
يفنون أعمارهم وهم يلهثون وراء إقامة حُكم إسلامي ، أو المطالبة بدولة
إسلامية ، فإذا حاققتهم ، وجدتهم غارقين في المخالفات الشرعية ،
والأحوال الشركية ، والأفعال البدعية - إلا من رحم ربي سبحانه - ناسين
أو متناسين ، جاهلين أو متجاهلين « أن قيام حكم إسلامي في أي بلد لن
يجيء عن مثل هذه الطرق ، وأنه لن يكون إلا بمنهجٍ بطيءٍ طويل المدى ،
يستهدف القاعدة لا القمة ، ويبدأ من غرس العقيدة من جديد ، والتربية
الإسلامية الأخلاقية ، وأن هذا الطريق الذي يبدو بطيئًا طويلًا جدًا ، هو
أقرب الطرق وأسرعها »^(١) .

« إذ إن الوصول إلى تطبيق النظام الإسلامي والحكم بشريعة الله ،
ليس هدفًا عاجلاً ؛ لأنه لا يمكن تحقيقه إلا بعد نقل المجتمعات ذاتها - أو
جملة صالحة منها ذات وزن وثقل في مجرى الحياة العامة - إلى فهمٍ صحيح
للعقيدة الإسلامية ، ثم للنظام الإسلامي ، وإلى تربية إسلامية صحيحة على الخلق
الإسلامي ، مهما اقتضى ذلك من الزمن الطويل والمراحل البطيئة »^(٢) .

والخلاصة: « إن تحكيم الشريعة، وإقامة الحدود، وقيام الدولة للإسلامية
واجتناب المحرمات وفعل الواجبات ؛ كل هذه الأمور من حقوق التوحيد
ومكملاته ، وهي تابعة له ، فكيف يعتنى بالتابع ويهمل الأصل ؟! »^(٣) .

التوحيد منطلق الدعوة إلى الله وغايتها :

أُسُّ الدعوة إلى الله التوحيد ، وزبدةُ رسالات الرسل .

(١) « لماذا أعدموني » . سيد قطب ص ٦٧ .

(٢) « لماذا أعدموني » . سيد قطب ص ٢٩ .

(٣) الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي ، لعلي حسن عبد الحميد

ص ٣٦ - ٣٧ ، دار الصحابة .

« التوحيد منطلق الدعوة إلى الله ، وغايتها ، فلا دعوة إلى الله بدونه ، مهما تسمت باسم من أسماء الإسلام ، وانتسبت إليه ، وذلك أن الرسل جميعاً ، وعلى رأسهم سيدهم وخاتمهم محمد ﷺ كانت دعوتهم إلى توحيد الله بدءاً وغايةً ونهايةً ، فكل رسول قال لقومه أول ما قال : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ^(١) .

يقول الشيخ سيد قطب في الظلال (٢/٩٤٠ ، ٩٤١) : « إن دين الله ليس راية ولا شعاراً ولا وراثه !! إن دين الله حقيقة تتمثل في الضمير وفي الحياة سواء ، تتمثل في عقيدة تعمر القلب وشعائر تقام للتعبد ، ونظام يصرف الحياة ... ولا يقوم دين الله ، إلا في هذا الكل المتكامل ... وكل اعتبار غير هذا الاعتبار تمييع للعقيدة ، وخداع للضمير .

وصاحب الدعوة لا يكون قد بلغ عن الله إلا إذا أبلغهم حقيقة الدعوة كاملة ... وحين يجمع صاحب الدعوة ويتمم ولا يبين عن الفارق الأساسي بين واقع الناس من الباطل وبين ما يدعوهم إليه من الحق ، حين يفعل هذا صاحب الدعوة - مراعاة للظروف والملايسات - يكون قد خدعهم وآذاهم .

إن التلطف في دعوة الناس إلى الله ، ينبغي أن يكون في الأسلوب الذي يبلغ به الداعية ، لا في الحقيقة التي يبلغهم إياها ... إن الحقيقة يجب أن تبلغ إليهم كاملة ... أما الأسلوب فيتبع المقتضيات القائمة ، ويرتكز على قاعدة الحكمة والموعظة الحسنة » .

إن مصلحة الدعوة لا تكون في بعد الناس عن تعلم عقيدتهم ، أو بيان بدع الناس وما هم عليه من البعد عن السنة .

(١) من مقدمة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق لكتاب « منهج الأنبياء » ص ١١ .

يقول الشيخ سيد قطب ، رحمه الله : « إن كلمة « مصلحة الدعوة »^(١) يجب أن ترتفع من قاموس أصحاب الدعوات ؛ لأنها مزلة ، ومدخل للشيطان ، يأتيهم حين يعز عليه أن يأتيهم من ناحية مصلحة الأشخاص . ولقد تتحول « مصلحة الدعوة » إلى صنم يتعبده أصحاب الدعوة ، وينسون معه منهج الدعوة الأصل .

إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على منهجها ، ويتحروا هذا المنهج ، دون التفاتٍ إلى ما يعقبه هذا التحري من نتائج ، وقد يلوح لهم أن فيها خطرًا على الدعوة وأصحابها .

فالخطر الوحيد الذي يجب أن يتقوه هو خطر الانحراف عن المنهج لسببٍ من الأسباب ، سواء كان هذا الانحراف كثيرًا أو قليلًا ، والله أعلم منهم بالمصلحة ، وهم ليسوا بها مكلفين ، إنما هم مكلفون بأمرٍ واحدٍ : ألا ينحرفوا عن المنهج ، وألا يحيدوا عن الطريق »^(٢) .

الدعوة إلى الله شرف في الغاية ، طهارة في الوسيلة :

الدعوة إلى الله وسيلة لإقامة العبودية في النفس ، ونشرها بين الناس ، وهي في نفسها عبادة .

والأصل في العبادات التوقف والبطلان حتى يقوم دليلٌ على الأمر . فلا مجال هنا للتجارب الشخصية ، ولا للاجتهادات الفكرية ... بل المجال أبدًا مجال تعبد ، ليس للأقيسة والآراء فيه موضع !! فهو شرف في الغاية وطهارة في الوسيلة ، فلا يسوغ لنا أن نلبس الدعوة إلى الله لباس تنظيمٍ

(١) بدون الضابط الشرعي للمصالح والمفاسد .

(٢) في ظلال القرآن سيد قطب (٦١٧/٥) .

أجنبي عنها ، واستفراغ الجهد فيه ، مما يؤول بالهدم والإسقاط لأصول الدعوة وبنيتها الأساسية .

فالدعوة تتكون من وسيلة وغاية : حقيقة الدعوة أمر ثابت لا يتغير بتغير الأزمان والمكان والأحوال ، والأصل في وسائل نشر الدعوة كذلك التوقيف على منهاج النبوة ، إذ « كل ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة »^(١) .

والوسائل للدعوة هي في عصرنا - وفيما قبله وبعده - لا بد أن تكون هي وسائل الدعوة التي بعث بها النبي ﷺ ، وبلغ فيها الغاية ، ولا تختلف في عصرنا مثلاً إلا في جوانب منها مرتبطة بأصولها التوقيفية . ولكن هذا التغيير مأسورٌ بمضمار الشرع ، موزون بمقاييس الكتاب والسنة ، فمتى اختل شيءٌ منه ، وجب إبعاده ، والبراءة منه .

أمّا وسيلة محدثة يتعبد بها فلا ، إذ « طريق الدعوة طريق واحد سار عليها رسول الله ﷺ وصحابته من قبل ، وسار الدعاة ، ونسير عليها بتوقيف من الله من بعد ، إيمان وعمل ، ومحبة وإخاء »^(٢) .

هذه نصيحتنا للذين يدعون إلى الله ولا يقدمون بين يدي الله ورسوله ، ليس للمخذولين ولا للمتخاذلين ولا للناكسين ولا للمتحمسين الفارغين . إلى الذين لا يستريون قيد شعرةٍ بصدق وحقيقة قول نبيهم ﷺ : « تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك » ... عملاً لا ادعاءً ، تطبيقاً لا أمانياً خياليةً ، فيعلمون أنها المحجة ... وبها

(١) العبودية لابن تيمية ص ٦٦ .

(٢) الدعوة إلى الله لعلي حسن عبد الحميد ص ٤٧ - ٤٨ .

الحجة ، فلا عاطفة تحرفهم ، ولا واقع يزيغهم ... غايتهم السامية العمل بطاعة الله ... رجاء رحمة الله ... على نورٍ من الله .

لا تحك رأسك إلا بأثر :

« إن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر ، فافعل » .

قال أبو العالية : « عليكم بالأمر الأول ؛ الذي كانوا عليه قبل أن يتفرقوا » .

قال عاصم الأحول : فحدثت به الحسن البصري فقال : « قد نصحك والله وصدقك » .

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه قال : « كنا نأتي زيد بن صوحان ، فكان يقول : يا عباد الله ، أكرموا ، وأجملوا ؛ فإنما وسيلة العباد إلى الله بخصلتين : الخوف والطمع . فأتيته ذات يوم وقد كتبوا كتاباً ، فنسقوا كلاماً من هذا النحو : إن الله ربنا ، ومحمد نبينا ، والقرآن إمامنا ، ومن كان معنا كنا وكنا ، ومن خالفنا كانت يدنا عليه وكنا وكنا . قال : فجعل يعرض الكتاب عليهم رجلاً رجلاً ، فيقولون : أقررت يا فلان ؟ حتى انتهوا إليّ ، فقالوا : أقررت يا غلام ؟ قلت : لا ! قال - يعني زيداً - : لا تعجلوا على الغلام ، ما تقول يا غلام ؟ قلت : إن الله قد أخذ علي عهداً في كتابه ، فلن أحدث عهداً سوى العهد الذي أخذه علي . فرجع القوم من عند آخرهم ، ما أقر منهم أحد ، وكانوا زهاء ثلاثين نفساً »^(١) .

وهذه قصة عجيبة تبين كيف كان فهم السلف - رضوان الله عليهم - للعمل الجماعي ، وأنه لا يخرج في شكل ولا مضمون عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وليتعلم منها الدعاة أن الأعمال الشرعية والأقوال الدينية ، يجب أن توضع في قالبها الشرعي ، دون أي شيء مما هو حادث مما لا دليل

(١) حلية الأولياء (٢/٢٠٤) ، وسير أعلام النبلاء (٤/١٩٢) بسند صحيح .

عليه . فأين من هذا مما يسمونه البديل الإسلامي ، والمسارح الإسلامية ؛ التبعية والتقليد المناقض لأصول الشخصية الإسلامية في وضوحها واستقلالها ، بدلاً من التحايل والتميع وتتبع الرخص والزلات و « عصرنة الإسلام » .

وليتعلم الدعاة منها : سماع الحق من أي إنسان كان ، سواء أكان صغيراً أم كبيراً ، طالما أن الحجة معه والدليل يرافقه ، وأن الكثرة أو القلة ليست معياراً للخطأ والصواب .

ولتعلم يا أخي أن العمل الجماعي - بصفته السنية - والتعاون على البر والتقوى ، ذو ثمرة جليلة ، أما ما يشم منه رائحة تحزبٍ أو افتراقٍ عن الأمة بشكلٍ أو مضمونٍ ، فلا .

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥/٢٨ - ١٦) : « وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ، ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء ، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى » .

ويقول رحمه الله (٥١٢/١١) : « وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعتة ، ويعادي على ذلك ، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ، وما عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ، ولا يخص أحداً بمزيد موالاةٍ ، إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه ، فيقدم من قدم الله تعالى ورسوله عليه ، ويفضل من فضل الله ورسوله » .

علو الهمة في دعوة غير المسلمين للإسلام .
رَجُلٌ يُسَلِّمُ عَلَى يَدَيْهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنَ الْأَجَانِبِ :

هذا الرجل المبارك الأمة المهندس محمد توفيق بن أحمد مؤسس « دار تبليغ الإسلام » أثناء إقامته في سويسرا في بعثة هندسية (١٩٢٩ - ١٩٣١) يعمل في صمتٍ منذ خمسة وستين عاماً ، ومحرر مجلة البريد الإسلامي

وصاحب امتيازها ، والذي أسلم على يده أربعة آلاف من الأجانب ، منهم قسيس يعمل أستاذًا للأدب في جامعة الفاتيكان ، وقاضي جزيرة سان موريس ، والقائد الهولندي « كلنجر » الذي أسمى نفسه « محمد توفيق كلنجر » تيمناً باسم صديقه الأستاذ محمد توفيق .

أصدر بداية مجلة اسمها « التقوى » وطبع من العدد الأول منها ألف نسخة ، ووزعها فانتشرت بحمد الله انتشاراً واسعاً ، وكان يكتب عليها - كما يكتب على مجلة « البريد الإسلامي » - : « اقرأها وأعطاها لغيرك مشكوراً » . وواصل إصدار « التقوى » حتى سنة ١٩٣٥ .

ولمّا رشح في بعثة هندسية إلى سويسرا عام ١٩٢٩ ، يقول : « وهناك شعرت بحاجة الأوروبيين للحصول على فكرة صحيحة وموضوعية عن الإسلام ، ومن ثم بدأ العمل لتبليغ الإسلام » « دار تبليغ الإسلام » وهو اسم معنوي كنت أعمل من ورائه ولا زلت ، وكانت كل الرسائل والإعلانات التي أبعث بها إلى الصحف الأوروبية ، أو أنشرها من خلالها : باسم محمد توفيق محرر مجلة « التقوى » في القاهرة ، وكنت أتسلم كثيراً من الرسائل على المنزل الذي كنت أسكن فيه ، وبالطبع كنت أرد عليها ، وفي كل مكان كنت أتواجد فيه ، أجد كثيراً من الأسئلة المتعلقة بالإسلام والمسلمين ، وكانت صورة الإسلام مشوهة من أعداء الإسلام والمستشرقين ، ومن حسني النية الذين يصدقون كل ما يقرءون فيعتقدون أن الإسلام بهذه الصورة ، وذات مرة قام أحد المبشرين واسمه روبلي أو دكتور روبلي ، مفتش التبشير في أسوان في ذلك الوقت ، وكان بصدد جمع تبرعات للمساعدة في خدمات المستشفى التبشيري في مصر ، ونشر في الصحف أنه سيلقي محاضرة عن مصر وفلسطين ، وحدد موعدها وحث الجمهور لحضورها ، وكان مكان المحاضرة في أحد المعابد الأوروبية وتصورت

وقتها أنه سيتعرض في محاضراته للإسلام ، وفعلًا تناول في حديثه أشياء كثيرة تمس الإسلام ، وتحدث في مواضيع كثيرة عن العرب وفلسطين ومصر ، وقد حمل الرجل صورًا معه إلى المحاضرة ، تسيء إلى الإسلام وإلى مصر أبلغ إساءة ، ومن الصور التي عرضها بالفانوس في هذا الوقت ، صورة جمل ، وسيدة تركب خلف الرجل في المكان المنحدر من مؤخرة الجمل تكاد تسقط ، ليوحي بهذا أن معاملة الرجل للمرأة في الإسلام سيئة . ثم قال : هل تتخيلون كيف يتم الزواج هناك ؟! - القول للدكتور روبلي - المرأة عند المسلمين تباع ، فهناك التي يشتريها الزوج عند الزواج بعشرة جنيهات^(١) ، وأخرى بعشرين ، وثالثة بخمسين ، كأنك تشتري عترة أو جاموسة ، يمكنك أن تشتري المرأة ، ويمكنك أن تتزوج ممن تعجبك بأي عدد تشاء - ولم يحدد الدكتور روبلي عدد النساء بأربع كما هو معروف !! .

وبعد هذا عرض د . روبلي صورة أخرى لرجلين يمشيان ، أحدهما مغزله يغزل به وأمامه زوجه تحمل حملًا ثقيلًا من القمح ، قدره د . روبلي حسب الصورة بأنه أربع كيلات ، وقال للمشاهدين الذين يشاهدون الصورة : هل تعرفون كم تحمل هذه المرأة ؟ إنها تحمل ما يساوي أربع كيلات من القمح ، وبالرغم من ذلك يقول زوجها لصاحبه : سأطلقها بالرغم من تفانيها وتعبها في خدمته ، وبعد ذلك قال لهم : الآن سأعرض عليكم صورة لأكبر مستشفى رمدي في مصر في القاهرة ، وجاء بصورة ضريح السيدة نفيسة ، وتظهر فيه حلقات في جوانب الضريح ، وجاء بأناس تظهر عيونهم بصورة قبيحة جدًا ، وقد وضعت عليها طبقات من الطين بشكل قبيح ، تتقزز منه العين ، وقال : هذه الطيبة - السيدة نفيسة - من نسل النبي أرسلت إلى مصر لتعمي المصريين !! وقال لهم : هل تعرفون كم عدد

(١) إشارة إلى المهر في الثلاثينيات من القرن العشرين .

العميان في مصر؟ وأجاب: إنهم يمثلون (٣٠٪)! وعندما انتهت المحاضرة قدم المحاضرون التبرعات لهذا المبشر، ورغبت في أن أرد على د. روبلي، غير أن لغتي الألمانية لم تكن تسعني في هذه المهمة، فقلت كلمات قصيرة في نهاية المحاضرة، واستمع إليها الحاضرون؛ مؤداها أن لي تعليقاً قصيراً ستقرؤه في الصحف، وأثناء خروجي اعتذرت له عن الإسهام في تقديم التبرعات، وعندما ذهبت إلى البيت قالت لي المرأة التي كنت أسكن عندها - غاضبةً - وقد حضرت: هل دينكم بهذا الشكل؟ وهل الحياة في بلادكم على هذه الصورة القبيحة؟! غير أنني لم أنم تلك الليلة، وجئت بجميع القواميس في محاولة مني لكتابة ردٍّ يصحح ما أثاره مفتش التبشير في محاضرتي من أكاذيب ومغالطات، وفي الصباح صحت لي هذه المرأة الرد المكتوب بلغة ركيكة، وبعثت بهذا الرد إلى الصحف، وقد نسخت منه ثماني نسخ، ونشرت الصحف الرد في صفحاتها الأولى، وذكرت أنه لمحمد توفيق محرر مجلة «التقوى» بالقاهرة، ومن هنا كانت الحاجة ماسة لتأسيس «دار تبليغ الإسلام»؛ لتقوم بتقديم مفهوم صحيح عن الإسلام، ولتساعد الأجانب الراغبين في معرفة الحقيقة فيما يتصل بالإسلام، بلغاتهم الحية في مواجهة حملات التضليل والأكاذيب والتعصب^(١).

والغريب أن المهندس محمد توفيق أثناء إقامته بالفيوم درس في مدرسة تبشيرية، وغضب والده وطرده من البيت، وأقام إقامة داخلية بهذه المدرسة، واكتشف بفطرته أباطيل الإنجيل، وكتب في ذلك ثلاث كراريس

(١) «رجل من أمة التوحيد أسلم على يده ٤٠٠٠ من الأجانب» لعبد اللطيف الجوهري ص ٢٢ - ٢٥. دار الصحوة للنشر.

مدرسية ، رد بها على مستر « جلوي » مفتش التبشير ، الذي لم يستطع الإجابة ، وما قال له إلا : إن الذي كتب هذا الكلام شيطان وليس أنت . وضاق ذرعاً بالمدرسة التبشيرية ، وعاد إلى أحضان أبويه بعد أن اطلع عمه - وكان ذا دين - على ما كتبه ابن أخيه ردّاً على الإنجيل .

يقول الأستاذ عبد اللطيف الجوهري - مؤلف كتاب « رجل من أمة التوحيد أسلم على يده ٤٠٠٠ من الأجانب » - للمهندس محمد توفيق ، أثناء حوارهم معه الذي ذكره في كتابه ، وكان هذا الحوار سنة ١٤٠٧ هـ الموافق يونية سنة ١٩٨٧ ، ونشر في مجلة « منار الإسلام » الطيبانية الغراء ص ١٠٨ - ١١٣ : « ماذا عن رقم آخر بطاقة تزف للمسلمين بشرى ميلاد مسلم جديد . وما قصة إسلامه باختصار ؟ فقال الشيخ محمد توفيق : آخر بطاقة رقم (٣٣٣٤) وصاحبها هولندي ، جاء إلينا فأعطيته رسائلي ليقراها ، ولكن لم أر منه الحماس الكافي لاعتناق الإسلام ، وفي مرة أخرى زارني في صحبة صديق إنجليزي معه شديد التمسك بالإسلام ، فعندما رأى هذا الحماس لدى الإنجليزي ، عاد إليّ بعدما تفرغ لدراسة الإسلام ، وأقر بالشهادتين وكتب إقراراً بالإسلام وأسلم »^(١) .

كان الشيخ المهندس محمد توفيق يزاسل مثقفي العالم الذين يريدون فكرة صحيحة عن الإسلام ، ويتلقى آلاف الرسائل على صندوق بريده رقم (١١٢) في القاهرة من مختلف أنحاء العالم .

يقول رحمه الله : « إن اتجاهي لتبليغ الإسلام للأجانب ، دفعني إليه - بالإضافة إلى واجب التبليغ على كل مسلم - افتتاح العرب والمسلمين بالأجانب ، فيما يعرف « بعقدة الخواجة » فأردت أن أتخذ من الأجانب

حقلاً للدعوة الإسلامية ، فإذا أسلم هؤلاء الأجانب ، لفت ذلك أنظارنا في بلاد العرب والمسلمين - مما يلفتنا - إلى عظمة ديننا وضرورة الالتجاء إليه والتشبث بهديه ^(١) .

ويقول : « إنني في مجال تبليغ الدعوة للأجانب ، لا أترك الأجنبي . الذي يرأسني بصدد دعوة الإسلام ، إلا بعد ما يعلن الشهادتين ، وفي العادة قد تطول المراسلة أو تقصر ، وأقصر مراسلة انتهت بإعلان إسلام أحد الأجانب من ألمانيا استمرت شهرين ، وأطولها استمرت سبعة عشر عاماً مع رجل من تشيكوسلوفاكيا ، ومع هذا الأخير الذي كانت تربطني به صداقة ، وكان يتردد على القاهرة ويتفضل بزيارتي ، وكان مصرّاً على التمسك بعقيدته ، بيد أنه جاءني ذات مرة ، بعد مرور سبعة عشر عاماً على صداقتنا ، وقال لي : إنني أحمل لك مفاجأة ، فقلت له : ما هي ؟ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ^(٢) .

رحمه الله ، لقد تفرغ تفرغاً تاماً لمراسلة الأجانب والرد على استفساراتهم طوال عمره المبارك الذي يناهز التسعين عاماً . كتب إليه رجلٌ نصراني أجنبي : إن عمري ثمانون عاماً ، وقد دأبت منذ نعومة أظفاري على التردد على الكنيسة ، وإن ما قدمته من معلوماتٍ عن المسيح ، يفوق ما عرفت عنه في الكنيسة .

يرأسل الشيخ محمد توفيق صيدلياً كاثوليكيّاً يسكن في « بازل » على الحدود الفرنسية وزوجته ، مدة طويلة بعد طول جهدٍ معهما ، ويرسل إلى زوجة هذا الصيدلي ترجمة معاني القرآن الكريم ، وتستوقفها أشياء ، ويسافر

(١) رجل من أمة التوحيد ص ٥٩ .

(٢) رجل من أمة التوحيد ص ٥٩ - ٦٠ .

الشيخ إلى « بازل » ويصل بقطار الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكانوا في انتظاره - الصيدلي وزوجه وأولاده - ولم يكونوا يعرفونه ، وكان قد وافاهم بمواصفاته ، وأنه طويل نحيف بنظارة ومعه كتاب لونه أحمر ، وكان قد حمله ليعرف به ، واهتدوا إلى معرفته ، وفور وصولهم إلى البيت ، قالت له زوجة الصيدلي : هل أنت متوضىء ؟ فقال لها : نعم ، فقالت : ونحن أيضاً متوضىئون ، ثم طلبت منه أن يصلي بهم إماماً ، فتأثر وبكى .

أم نقص حكاية الصبي الألماني ، الذي كان والده يرأسل الشيخ في موضوع « الإسلام » ووصلت مراسلته إلى قناعته بالإسلام ، وكان الشيخ في مراسلته قد ذكر له أن أول من أسلم من الصبية علي بن أبي طالب ، ومن الرجال أبو بكر الصديق ، ومن النساء خديجة بنت خويلد ، وبعد ما أعلن الرجل إسلامه ، وبعث إلى الشيخ بإقرار الشهادة ، أرسل إليه الشيخ شهادة اعتناق الإسلام ، وعقب ذلك تلقى الشيخ رسالة من ابن الألماني الصبي وقال : أرجو أن ترسل لي الإقرار للتوقيع عليه ، وشهادةً باعتناق الإسلام مثل أبي ، فكتب إليه الشيخ يستمهله حتى يكبر ويزداد تعرفه على الإسلام ، فأرسل من فوره رسالة ذات منطقي مفحم ، أقنع الشيخ وأثر فيه كثيراً ، حيث قال في رسالته : « هل طلب محمد بن عبد الله من علي ابن أبي طالب أن يرجىء إسلامه حتى يكبر ؟! » فلم ير إلا أن يلبي طلبه فوراً ، ويرسل إليه الإقرار ليوقعه ، ثم الشهادة باعتناق الإسلام^(١) .

يقول الأستاذ أنور الجندي عن المهندس محمد توفيق أحمد : « هذا رجل ليست له شهرة الأدباء ، ولكن له مكانة العاملين في مجال الفكر

(١) رجل من أمة التوحيد ص ٨٥ .

الإسلامي والدعوة الإسلامية في صدق وثبات ، وقد اختار مجالاً لا يكاد ينافس فيه أحد ، وهو المحيط الخارجي ، وفي قلب أوروبا بالذات ، وأصدر مجلة « البريد الإسلامي » الزاهرة عام ١٩٤٣ م ، وأنشأ « دار تبليغ الإسلام » قبل ذلك عام ١٩٢٩ م ، بدأ عمله في سويسرا عن طريق الرسائل والإعلانات ، ففي كل محطة من المحطات على طول الطريق من النمسا إلى زيورخ إلى باول ، تجد لوحاً تقول : « لقد علمت خطأ عن الإسلام ، إن كنت تريد أن تعرف الحقيقة ، فاكتب إلى فلان ، فإذا أرسلت إليه ، أرسل لك كتباً صغيرة موجزة » وقال لي : أرسل لي خمسة من أصدقائك ، ولا يلبث أن يرسل لهم بطاقاته ، وامتد عمله في النمسا والسويد والنرويج وفرنسا ، ونما هذا العمل الصامت الخالص لوجه الله ، وفي سبيل التعريف بالإسلام ، وتحرير مفاهيمه ، حتى كتب إلى مائة ألف من البشر ، قال لهم كلمة التوحيد ، فكسب منهم أصدقاء ، وكسب منهم معتنقين ، ونشأ من خلال ذلك في هذه الأقطار مجتمعات إسلامية ^(١).

يا سبحان خالق المهمم ... يرسل خطابات إلى مائة ألف شخص !! . ويقول الصحفي المغربي الأستاذ عبد القادر الإدريسي عن الشيخ محمد توفيق في مقالة « الرجل المؤسسة » : « أسلم على يده أكثر من ثلاثة آلاف شخص ... هذا هو المدخل الرئيسي إلى عالم صاحبي ... التقيت به مرتين ، تفصل بينهما ثلاث عشرة سنة كاملة ، لم يتغير الرجل طوال هذه المدة ، بل أستطيع أن أقول : إن قوته وعزيمته تزدادان مضاعف مع توالي الأعوام ، الإشراف في عينيه يجذبك إليه بقوة ، رجل ليس كالرجال ، قمة من القمم

(١) رجل من أمة التوحيد ص ١١١ - ١١٢ . نقلاً عن مقالة في مجلة « المنهل » الحجازية في رجب سنة ١٣٩٠ الموافق سبتمبر سنة ١٩٧٠ بعنوان « لقاء مع جيل الرواد المهندس محمد توفيق أحمد » .

الشائخة التي وهبت حياتها لله رب العالمين ... يحتفظ بمكتبه - الذي يشغل جناحاً من شقته المتواضعة - بملفاتٍ كاملةٍ عن الأشخاص الذين اهتدوا إلى دين الله على يده ، أصناف متعددة من البشر ، الصفة التي تجمعهم أنهم خارج الوطن الإسلامي ، والحكاية لها بداية جديدة بالتسجيل : رحل صاحبي إلى أوروبا في الثلاثينيات ، وأقام بإحدى المدن السويسرية ، حيث عمل في الهندسة الكهربائية ، وطالت إقامته في تلك الديار ، وأقام علاقات عديدة مع مختلف الطبقات ، مما أكسبه حسن السمعة وطيب الذكر ، وأخذ في الدعوة إلى الإسلام في الأوساط المسيحية ، ولقي عمله إقبالاً كبيراً ، وفوجيء بتدفق لم يكن يتوقعه من شتى الأوساط ؛ المتعلمة والمتقفة والعادية ، فزاده ذلك إقبالاً على المضي في هذا الطريق ، ودخل الكنائس والمدارس والسجون والنوادي الليلية ، وأخذ ينفق على الدعوة من دخله الشخصي ، وهواه تفكيره إلى استئجار الأماكن العامة ، مثل دور السينما والنوادي وقاعات الاجتماعات ؛ لإلقاء المحاضرات وإدارة الندوات ، وفجأة وجد نفسه في عالمٍ لم يخطط له . كان في البداية يقدر أن المسألة لا تعدو أن تكون عملاً متواضعاً . يقصد به وجه الله لا أقل ولا أكثر ، فإذا به أمام نتائج باهرة وحركة واسعة وإقبالٍ لم يخطر على بال ، وإذا باسم الرجل يتردد في أكثر من جهة في أوروبا ، وإذا بالصحافة تكتب عنه ، وإذا برجال الكنيسة يتحركون لمعرفة السر وراء هذا النجاح ، فلما أيقنوا أن الرجل لا يدعمه أحد سوى الله ، كفوا عن المناوشة وسلموا أمرهم لله ، حتى إن بعض الرهبان والقساوسة أخذوا يترددون عليه في مقر إقامته بمدينة بادن (أرجاو) بسويسرا لمناقشته والأخذ عنه ، وكتب الله لهذا العمل المتواضع الخالص لوجهه الكريم ، أن يتسع ويمتد ويشع وينمو في اطراد ، وكان أن ارتفع المعدل الشهري للذين يُقبلون على الإسلام ، وبمرور الأعوام قفزوا إلى الألف الأولى ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، وهذا كله

من فضل ربي الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً . اتخذ لنفسه شعاراً يلخصه في الجملة التالية : « الناس جميعاً أسرة واحدة ، ربها واحد ، ودينها واحد ، هو الإسلام الذي دعا إليه جميع رسل الله الكرام ، والسعيد الناجي من فهم القرآن ، وعمل على نشر تعاليمه التي تحقق المحبة والسلام بين بني الإنسان » . وهو يطبع هذا الشعار على الرسائل التي يوزعها مجاناً بسبع لغات على القارات الخمس . هذا الرجل تخطى عتبة الثمانين ولا يزال في فتوة وحيوية الشباب .

رجل يستحق التكريم ممن جعل الله تكريم الرجال على أيديهم .. لقد أسعدني أن ألتقي بالمهندس محمد توفيق بن أحمد سعد ، وهذا اسمه بالكامل . أستم معي أن هذا الرجل يضاهي عمله عمل المؤسسات .. إنه بحق الرجل المؤسسة ، ولا عجب «^(١)» .

وتحت عنوان « مع العاملين في صمت وبلا دعاية » كتب الأستاذ محمد الجندي : « يذكر المهندس توفيق أحمد ، أنه في الوقت الذي تحاصر فيه الصحافة الإسلامية وتخضع لأجهزة متعددة من الرقابة ، فإن جمعية « شهود يهوه » تصدر مجلة تسمى « برج المراقبة » وتوزع منها عشرة ملايين نسخة ، وبتسع وسبعين لغة ولهجة في العالم ، بينما كل المجلات والصحف في العالم الإسلامي لا تتجاوز إصداراتها في مجموعها على مليون نسخة ، وفي عدد محدود من اللغات ، علماً بأن جمعية « شهود يهوه » هي مؤسسة يهودية ترتدي ثوباً نصرانياً مزيفاً ، وتقوم على مبدأ خداع الجماهير المسيحية الساذجة ، وإدخال نبوءات التوراة المحرفة في النفوس ، والتي منها ما يبشر بعودة اليهود إلى فلسطين والتي تخدم الفكر الصهيوني . ودار تبليغ الإسلام

(١) مجلة «المسلمون» الدولية بلندن - العدد الصادر في ٢١ من رجب سنة ١٤٠٢/

الموافق ١٤ من مايو ١٩٨٢ م .

تقوم على شخص واحد ، هو « الساعي ومسئول العلاقات العامة والمحرر ورئيس التحرير ومسئول المراسلات والتمويل وغيرها » . وقد وصفته إحدى المجلات الإسلامية بأن هذا الجهد الكبير ، الذي يقوم به ، لا تستطيع مؤسسات بكاملها عمله ، ورجحت جهده على جهد أحد المؤتمرات الإسلامية ، والتي أشرفت عليه مجموعة دول في إحدى العواصم الأوروبية عام ١٩٧٦ ، وكان هذا المؤتمر يهتم بالتراث من خلال مخطوطات إسلامية ومجموعة محاضرات ، ورغم هذا لم يعلن أحد إسلامه .

ويمنح المهندس توفيق أحمد شهادةً بإسلام من يرغب من الأوروبيين ، ولا يتم منح هذه الشهادة إلا بعد إجراء الاختبارات الدقيقة حول الدوافع من اعتناق دين الإسلام ، ويكتب في الشهادة أي خروج على تعاليم الإسلام يلغيها ^(١) .

« اقرأها وأعطاها لغيرك مشكوراً ، ولا تحتكرها فتأثم » . كتبت هذه العبارة على مجلة البريد الإسلامي ... فرحم الله الرجل الأمة المؤسسة ... عالي الهمة ... الشيخ الداعية المهندس محمد توفيق ، الذي أسلم على يديه أربعة آلاف شخص ، وكتب إلى مائة ألف شخص يدعوهم إلى الإسلام ... هذه هي الأسوة والقُدوة .

الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني القرشي الهندي ، وجهوده في مقاومة التنصير ، وكتابه « إظهار الحق » :

وحين نتكلم عن التنصير في الهند ، الذي مهد له الاستعمار الإنجليزي ، وتحويل المساجد إلى كنائس ، وبناء ألف مدرسة تبشيرية كنسية يدرس

(١) مجلة « الهدى » الخليجية - العدد الصادر في يوم الجمعة ١٤ من ذي الحجة سنة

فيها خمسة وستون ألف طالب ، ويتبع للكنائس معاهد متخصصة وكليات في « هوجلي » و « كلكتا » و « لاهور » و « غازي پور » و « عليكرة » تدار بأموال الوقف الإسلامي ... نتكلم عن المنصر هنري مارتين ، الذي وضع أساساً قوياً للتنصير بترجمة الإنجيل إلى الفارسية والأردية ... نأتي إلى خاتمة المطاف إلى المستشرق الأمريكي الكاثوليكي د . فندر ، والذي تحول إلى البروتستانتية وأرسلته كنيسة إنجلترا رئيساً للمنصرين في الهند .

تزعم فندر الحملة التنصيرية داخل الهند بإلقاء المواعظ والخطب في الاجتماعات العامة والمآتم والأفراح الإسلامية والهندوسية ، والتهجم على العقائد غير النصرانية ، والطعن في الإسلام ، والتشكيك في القرآن الكريم وفي رسول الإسلام ﷺ ، وتحدي علماء المسلمين علناً .

وكان يوجه المنصرين إلى مختلف المديریات الهندية ، ويدربهم على إلقاء الخطب والمحاضرات . وألف عدة كتب للدعوة للنصرانية ، أهمها وأخطرُها « ميزان الحق » ، بل هو أخطر كتب المنصرين على الإطلاق ، وتلقى المنصرون والقساوسة هذا الكتاب بالقبول والتقدير ، لشموله جميع الشبه والافتراءات ، وكل ما يمكن أن يعترض به المنصرون والمستشرقون على دين الإسلام ، بالإضافة ... لشموله جميع أوجه الرد والدفاع عن العقائد النصرانية ، ونفدت له ثلاث طبعات متتالية في الهند بالإنجليزية والفارسية والأردية ، وترجم فيما بعد للتركية والعربية . وهذا الكتاب هو الينبوع الذي منه يستقي المبشرون مطاعنهم في الإسلام ، ويعد صاحبه به أخطر منصر دخل القارة الهندية . وقد عدم . هوري زعزعة فندر لعقيدة المسلمين في الهند بترجمته كتابه « ميزان الحق » إلى اللغتين الفارسية والأردية ، أعظم من عمل القس هنري مارتين بترجمته الإنجيل للفارسية والأردية ، كما ورد في كتاب الغارة على العالم الإسلامي

(ص ٣١ - ٣٢) ، وقد عد إبراهيم خليل أحمد - القسيس المصري الذي أسلم - في كتابه الاستشراق والتبشير (ص ٦٤ ، ٦٢) أخطر أربعة كتب للمنصرين ، وجعل أولها وأكثرها خطورة كتاب « ميزان الحق » .

وكان لهذا الكتاب ردود فعل عنيفة ، حصلت عند المسلمين إثر صدور هذا الكتاب ؛ لانتشاره السريع ، وسكوت كثير من العلماء عن الرد عليه فترةً من الزمن ، بحيث خيف على ضعاف النفوس من الردة .

بل إن رام شندر الهندوسي الذي كان صديقاً لفندر وللشيخ رحمت الله ، وكان محباً لفندر وكتبه ، تجرأ أن يطلب من الشيخ رحمت الله - وهو أستاذ الهند بلا منازع في الرد على النصارى - زيارة فندر لعله يهتدي إلى النصرانية !!

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في مجلة البعث الإسلامي عدد ٩ سنة ١٣٩٩ هـ ص ٥٥ : « وقد استفحل أمر فندر ورأى أن الجو قد خلا له ، فازداد جراءةً وتحدياً ، ورأى الشيخ رحمت الله أنه لا سبيل إلى الحد من نشاط هؤلاء القسوس ، وفي مقدمتهم وعلى رأسهم القس فندر ، وإعادة الثقة إلى نفوس المسلمين إلا مناظرة فندر في مجمع حافل ، يحضره المسلمون والمواطنون والحكام الأوروبيون والنصارى والمنصرون ، وكان فندر كثير الإدلال بكتابه ميزان الحق ، فخوفاً بتبجحاته ، ويرى أنه ليس من السهل معارضته ونقضه من علماء المسلمين .

كل هذه الأسباب مجتمعةً ، جعلت الحاجة ماسة للرد على هذا القسيس ، مما حفز الشيخ رحمت الله للدعوة إلى مناظرتة علناً حتى يعريه ، ويفقده كل هذا الأثر في الأوساط الهندية .

فأرسل الشيخ رحمت الله تسع رسائل إلى الدكتور القسيس فندر لترتيب أمور المناظرة العلنية بينهما ، بدأت المراسلات بتاريخ ٢٣ آذار ،

وانتهت في ٨ نيسان سنة ١٨٥٤ ، ويظهر منها أن الشيخ رحمت الله قد أشرب قلبه حب المناظرة ، وكان يخشى عدم قبول فندر للمناظرة العلنية ، فقد كانت رسائل فندر إليه تحوي شروطاً صعبة لتشيط همته ، فقبلها ، وتم الاتفاق بينهما على أن تكون المناظرة في خمسة موضوعات ، هي : النسخ ، والتحريف ، والأوهية المسيح والتثليث ، وإعجاز القرآن ، ونبوة محمد ﷺ ، وأن تكون المناظرة يومي الإثنين والثلاثاء ١١ ، ١٢ رجب سنة ١٢٧٠ هـ و ١١ نيسان سنة ١٨٥٤ م في موضوعي النسخ ، والتحريف ، ومكان المناظرة في خان عبد المسيح الذي كان مدرسة في السابق ، وأن يكون القسيس فرنج مساعداً للقسيس فندر ، وأن يكون الدكتور محمد وزير خان أبادي مساعداً للشيخ رحمت الله ، وكان محمد وزير خان قد درس الطب في لندن وتخرج عام ١٨٣٢ م فأتقن اللغتين الإنجليزية واليونانية ، واطلع على المسيحية في مصادرها الأصلية ، وعند عودته إلى الهند أحضر معه عدداً من الكتب الأصلية عن النصرانية وأقوال علمائها المحققين .

وتم انعقاد مجلس المناظرة العام في اليوم الأول ١١ رجب في تمام الساعة السادسة والنصف صباحاً ، في حي عبد المسيح ببلدة أكبر آباد ، وقد توافد الناس لحضور المناظرة من المسلمين والمسيحيين والوثنيين ، وكان على رأس الحضور أمراء المسلمين والهندوس وحكام الإنجليز وأعيان البلدة والوجهاء وكبار الموظفين المدنيين والعسكريين ، كما حضرها القضاة والعلماء المسلمون والقساوسة والمنصرون ومراسلو الصحف ، وقد زاد عدد الحضور في هذا اليوم على خمسمائة نفس ، وتناقل الناس خبر المناظرة ، فزاد عدد الحضور في اليوم الثاني على ألف نسمة من جميع الأطراف .

وقد أسفرت هذه المناظرة الكبرى عن :

تعزية فندر وكتاباته :

فقد استطاع الشيخ رحمت الله بفضل الله في هذه المناظرة أن يظهر فندر للناس على حقيقته ، وتعريه كتاباته التي ملئت تبجحًا وتحديًا ، فأظهر تناقضه في مواضع عديدة من كتبه ، وأنه كان يكتب بغير علم ، وقد تراجع فندر عن كتابات كتبها ، ويكفي انتصارًا للشيخ ، أنه أظهر للحاضرين ضالة علم فندر ، وتهربه عن الجواب بطرق شتى .

اعتراف القسيس فندر العلني وصاحبه بوقوع النسخ والتحريف في كتب العهدين : بسبعة مواضع أصلية ، منها أكبر شاهد لهم التثليث ، وهو ما في رسالة يوحنا الأولى ٧/٥ - ٨ ، من أن الذين يشهدون في السماء ثلاثة ، وهم واحد .

كما اعترف بوجود أربعين ألف موضع سمياها سهو الكاتب أو اختلاف العبارة ، مع عدم القدرة على تعيين الصادقة جزمًا ، وقدا القول بأن اختلافات العبارة أربعون ألفًا ، على القول القائل بأنها مائة ألف وخمسون ألفًا ، وهي ما يطلق المسلمون عليه اسم التحريف النافي لبقاء إلهامية كتب العهدين .

فلما ظهرت الغلبة لرحمت الله في مسألتني النسخ والتحريف ، ورأى ذلك صاحب الميزان « فندر » ، سد باب المناظرة ، ووقع في عرض الشيخ ونفسه ، ولعل القسيس « فندر » خشي أن يظهر المزيد من مثالب كتاباته ، وخاصة مسألتني الألوهية والنبوة ، بل لعله خشي أن يهتدي إلى الله وإلى الدين الحق ، بعد أن يثبت له الشيخ بطلان عقيدة ألوهية المسيح وثبوت نبوة محمد ﷺ ، على ما كان مشروطًا من دخول المغلوب في دين الغالب منهما .

وبعد هزيمة فندر في المناظرة ، وجره العار الكبير والخزي على الكنيسة ، لم يستطع البقاء في الهند ، وسافر إلى ألمانيا وسويسرا وبريطانيا ،

ثم اختارته الكنيسة منصرًا في مقر الخلافة الإسلامية في القسطنطينية فسافر إليها سنة ١٨٥٨ م .

وقد اتصل فندر بالسلطان عبد العزيز خان ، وزور أخبار المناظرة ، وزعم أن الغلبة فيها كانت له ، ثم دعا مسلمي تركيا إلى الاقتداء بإخوانهم مسلمي الهند ، حيث زعم أنهم تحولوا إلى النصرانية ، وأن المساجد أصبحت كنائس ، وأخذ يتجول في أرجاء تركيا يشيع أخبار هذه المناظرة بطريقته الخاصة ، معتمدًا على الكذب وتزوير الحقائق ؛ لرفع مكانته وستر فضائحه .

ولكن السلطان عبد العزيز خان أصيب بغم شديد لسماعه أخبار فندر ، وخشي أن تؤثر هذه الإشاعات على أبناء المسلمين ، وقد علم من الحجاج الأتراك أن الشيخ رحمت الله موجود في مكة المكرمة - بعد مصادرة الإنجليز لأمواله ، وجعلوا مكافأة ألف روية لمن يدلهم على الشيخ رحمت الله ، وحظروا بيع كتبه وطبعها ، فاضطر للهجرة متخفيًا حتى وصل إلى مكة سنة ١٨٦٢م - فعجل السلطان عبد العزيز بالأمر إلى أمير مكة الشريف عبد الله بن عون ، بإرسال الشيخ رحمت الله إلى دار الخلافة ؛ لينظر فندر في تركيا .

ولما حل الشيخ ضيفًا رسميًا في قصر الخلافة ، وسمع فندر بذلك فر هاربًا من تركيا .

وقد أوعز السلطان العثماني بترحيل المنصرين عن تركيا ، وحظر نشاطهم ، ومصادرة كتبهم ومنع انتشارها .

ولما سمع السلطان عبد العزيز العلماء والوزراء وكبار رجال الدولة ، طلب من الشيخ أن يقص خبر المناظرة ، فلما استبان للسلطان طول باع الشيخ في هذه الموضوعات ، وتمكنه منها ، طلب منه تأليف كتاب باللغة

العربية يضم مسائل المناظرة الخمس، فعقد الشيخ العزم على تأليف كتاب يكون سداً منيعاً في وجه المنصرين، فألف كتابه «إظهار الحق» ليكون مرجعاً لطلاب العلم والباحثين عن الحق والمتخصصين في هذا الفن.

ولو كان فندر يعلم أن مجيئه إلى تركيا وكذبه على السلطان عبد العزيز خان، وتزويره أخبار المناظرة، سيكون سبباً في تأليف هذا الكتاب، لفضل البقاء في بلاده، أو قطع لسانه، كي لا يخرج هذا السفر الجليل إلى عالم الوجود، فأني دارس لعلم مقارنة الأديان والرد على العقائد الباطلة، وأي طالب للرد على المنصرين والمستشرقين، وأي باحث عن الحق بخصوص كتب أهل الكتاب وعقائدهم، ولا يطلع على «إظهار الحق»، يكون قد فاتته من هذا العالم زبدته، ولن ينال مادته في أي كتاب آخر.

فهو كتاب في فنه آية، وليس وراءه لمبتغي الزيادة غاية.

أظهرت أنواره أسرارَه كم جلّت أقمارُه ليلَ ارتيابِ
نعم مبناه رياضٌ أثمرتْ دُرُّ معناه لمن يدري الخطابِ
كلّ غاوٍ لو رآه مُنصفاً من ظلام الكفر بالإيمان طابِ

وقد طبع الكتاب أكثر من عشر طبعات بالعربية، وأمر السلطان العثماني عبد الحميد خان بترجمته وطباعته وتوزيعه في العالم الإسلامي، وترجم إلى تسع لغاتٍ أجنبية، منها: الألمانية والفرنسية والإنجليزية، وترجم إلى التركية. وغازط النصاري صدور هذا الكتاب، فأخذوا يشترون الكتاب من الأسواق بجميع ترجماته وطبعاته، ويجمعونها ثم يتلفونها بالحرق، قاصدين إعدام وجوده من الأسواق العالمية، ومنع وصوله إلى أيدي القراء عامة والنصارى خاصة، وقد علقت صحيفة اللندن تايمز على هذه العملية الحاقدة بقولها: «لو دام الناس يقرءون هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم».

وكيف لا والشيخ أعلم بكتب النصارى واليهود منهم ، فالشيخ درس كتب العهدين دراسةً نقديةً تحليليةً عدة مرات ، ودرس كتب القدماء والمحدثين من علماء المسلمين واليهود والنصارى ، حتى أصبح عالمًا بجميع طرق النقد ، وكان مجموع طبعات كتب العهدين التي رجع إليها الشيخ في مؤلفه اثنتين وثلاثين طبعة ، بأربع لغات منها (١٣) بالعربية ، و (٨) بالفارسية ، و (٦) باللغات الهندية و (٥) بالإنجليزية .

هذا بالإضافة إلى ثمانية وخمسين مصدرًا أساسيًا من التواريخ والتفسيرات التي كتبها العلماء المحققون من أهل اليهودية والنصرانية . هذا بالإضافة إلى كتب التفسير والتاريخ الإسلامية لعلماء السنة ^(١) .

فله همة هذا السهم القرشي العثماني الصائب ، ورحم الله بدر شيوخ الهند وشهابها الثاقب .

الداعية عالي الهمة أحمد ديدات :

الذي زلزل أركان التنصير في جنوب أفريقيا ، وناظر زعماءهم في أمريكا ، وتحدى البابا ودعاه إلى مناظرة علنية ، فما استطاع أن يجيبه إلى طلبه .

يقول هذا الداعية الذي يجوب القارات شرقًا وغربًا رادًا على افتراءات اليهود والنصارى مزلةً لعهديهم ، يقول ديدات في خاتمة كتابه « هل الكتاب المقدس كلام الله » :

« ولا بد أن القارىء إذا كان ذا ذهن متفتح ، أن يكون قد اقتنع الآن أن الكتاب المقدس ليس كما يدعي أتباعه من النصارى ، وخلال أربعين سنة

(١) مقدمة كتاب « إظهار الحق » للشيخ الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي ، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الطبعة الثانية .

يسألني الناس ؛ كيف لي بكل هذا العلم بالنصرانية وكتابها ، وبصراحة فخبرتي باليهودية والنصرانية ليست من اختياري ، بل قد أرغمت أن أكون هكذا .

عندما كنت أشتغل مساعد بائع عام ١٩٣٩ بجانب معهد لتخريج الوعاظ ، كنت وأصدقائي هدفًا دائمًا لخريجي هذا المعهد ، فلم يكن يمر يوم لا يضايقنا فيه هؤلاء بإهاناتهم للإسلام ونبى القرآن ، وقد كنت شابًا حساسًا في العشرين من عمري ، فكنت أقضي ليالي عديدة ساهرًا أبكي ، لضعفي وعدم قدرتي على الدفاع عن النبى عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي أرسل رحمة للعالمين ، وقررت دراسة القرآن والكتاب المقدس والكتب التي تتحدث عنهما ؛ واكتشافي لكتاب « إظهار الحق » كان أول خطوة في تغيير مجرى حياتي ، وبعد فترة كانت لدي القدرة على أن أدعو أولئك الوعاظ للمناقشة ، وأخرجهم بالحقائق المعروضة ، مما اضطرهم لاحترام الإسلام ونبيه .

بائع الملح الهندي أحمد حسين ديدات الذي عاش في جنوب إفريقيا ، الذي أصبح يجادل آباء الكنائس وعلماء اللاهوت وزعماء التنصير . هذا الرجل الذي يدعو إلى الله عز وجل عن طريق المحاضرات واللقاءات في كل مدينة يذهب إليها ، وفي كل جامعة يزورها ، وقد ألقى محاضرات في بريطانيا، أيرلندا، أمريكا، كندا، هونج كونج، سنغافورة، الهند، زيمبابوي ، موريتانيا ، ملاوي ، أبو ظبي ، السعودية ، وأعظم تجمع استمع له أكثر من ٣٠ ألف مستمع في جرين بوينت في مقاطعة الكاب .

هذا الرجل الذي تناظر مع اثنين وثلاثين قسيسًا في أماكن مختلفة من العالم ، وأشهرها في نظره المناظرة التي كانت في قاعة الألبيرت هول في لندن ، وقد حضرها جَمْعٌ غفير من الناس بمختلف الأديان والطوائف .

الداعية عالي الهمة الذي أقنع أحد رجال الأعمال ، ممن يشغل وظيفة في مركز الدعوة الإسلامي في مدراس ، بإنشاء معهدٍ للدعاة ، وبدأ ديدات في تدريب الدعاة على طول الساحل الجنوبي هناك ، واستمر العمل في هذا المعهد لمدة عشر سنوات متصلة ، وخرج جيلاً من الدعاة لنشر الدعوة في الكرة الأرضية ؛ شرقها وغربها .

هذا الرجل الذي تحدى النصارى قائلاً : « لكل مسألة جدلية تقدمونها لي تأييداً لدينكم ، سأقدم لكم عشرًا ضدها »^(١) . أسس مركز نشر الإسلام في عام ١٩٥٨ في جنوب إفريقيا ، يوزع ١٠٠,٠٠٠ من ترجمة معاني القرآن بالإنجليزية .

قال ديدات : « إن النبي ﷺ قال : « اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى » وهذا يعني أن الذي يعطي ، أرفع منزلةً من الذي يأخذ . إن مهمتنا هي أن نخرج لنبلغ رسالة الله ، إننا في مكانة أعلى من الناحية العقائدية » .

يقول ديدات : إذا امتلكننا أشعة الليزر فلن تجديننا عن الدعوة إلى الله شيئاً ؛ لأن الدين يظهر بالدعوة والمجاهدة .

ويقول : « ملايين الخطط وملايين المتفرغين المنصرين ، هدفهم تحويل العالم الإسلامي إلى النصرانية ونحن نغط في نوم عميق » . ويقول : « علينا أن نتجاوز القضايا الهامشية في مناظرتنا للنصارى ، ونجادهم في أصل الخلاف الذي هو قضية التوحيد » .

ويقول : « الأمة التي تملك هذه الأموال الطائلة التي بيد المسلمين ، ولا تنفقها في الدعوة ، أمة تستحق الدمار ، وسيحاسبها الله يوم القيامة » .

(١) من الحوار الذي أجرته معه فائزة أمبا في جريدة « عرب نيوز » السعودية التي تصدر بالإنجليزية .

يقول ديدات : « كنت أسأل الجمهور الذين التقيت بهم : « هل سيظهر هذا الدين ؟ » ويقولون : نعم ، إنه الحق ، وإن الدين غالب على الجميع . فأقول : إذا كنتم تؤمنون بذلك ، فلماذا تستندون على ظهوركم دون أن تفعلوا شيئاً ، وتركبون السيارات الفاخرة ، وتنفقون الأموال الطائلة فيما لا يفيد ، وتقولون : الدين غالب ، دون العمل له ؟!! » .

ويقول : « شرط اللقاء والتحدث مع النصارى : التحدث عن العبودية لله وحده ، فالحديث عن التوحيد شرط التناظر مع النصارى » . « يسرق النصارى أطفالنا ، ففي ليستر بريطانيا وضعوا خطة بميزانية تقدر بملايين الدولارات لتنصير الفولانيين في نيجيريا » .

« الآن يتفرغ لنا المنصرون بالملايين ، حيث يتوزعون حول العالم لتنصير المسلمين ، وهم يقرعون أبوابنا في بلادنا ، فقد تنصر (١٥) مليون أندونيسي ، وهم يفخرون - الآن - بأنهم استطاعوا تنصير الباكستانيين والبنغاليين الآن أكثر من أيام الاستعمار البريطاني هناك ، وهناك الآن مئات الآلاف متفرغون للتنصير في إفريقيا »^(١) .

يا أيها الموحدون ، يا ورثة خير النبيين وأعلامهم همة : « إن الإسلام لا بواكي له » .

يقول ديدات : « هناك مجموعة صغيرة من النصارى قد طبعوا أكثر من (٨٤) مليون نسخة من كتاب واحد ، بأكثر من (٩٥) لغة مختلفة ، ويطبعون (١٠٢) مليون نسخة من مجلة شهرية بأكثر من (١٠٢) لغة ، ويصدرون من مجلة أخرى تسمى اليقظة (٨,٩) مليون نسخة في الشهر ، بأكثر من (٥٤) لغة . وميزانية الرجل « سويجارت » مليون دولار يومياً ،

(١) من كتاب « أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن » - كتاب المختار الإسلامي .

ونحن المسلمين بكل دخلنا من البترودولار ، لا نستطيع أن ننفق مليون دولار للدعوة في السنة الواحدة .

النصارى أصبحوا يجرفون المسلمين في كافة أنحاء العالم ، ولكن ليس هناك من يكي لهذه النتيجة ، بينما نرى النصارى يندفعون على نطاق واحد لنشر دينهم ، والتضحية بحياة الترف والبذخ ، والعيش في أذغال إفريقية والصحاري الحارقة لنشر دينهم .

فالأيرلنديون - مثلاً ، وهم من الفقراء في بريطانيا مقارنةً بالإنجليز - يعثون آلاف الرجال والنساء لخدمة المسيح عليه السلام - كما يزعمون - في العالم ، وفي الكنيسة الكاثوليكية والرومانية ، ترى الكثير من القساوسة والراهبات الأيرلنديات ، لماذا؟! لأنهم يرغبون من الصغر على التضحية في سبيل المسيح - عليه السلام - ومن أجله .

أما نحن ، فصحيح أنهم يرغبوننا بالصلاة وتربية اللحية ، وهذا جميل ، ولكنه جزء ، فقلما تسمع على المنبر من يحمّسك ويشجعك على الانطلاق والدعوة إلى الله في بقاع العالم . كلهم يحدثونك عن الصلاة والزكاة ... إلخ ، ولكن قلما يكون الحديث لنشر الدين ... أين الجهاد؟^(١) .

وصدق الداعية ديدات التي تمتاز الدعوة بدمه ولحمه .

في مدينة ملكال في جنوب السودان ، تأتي المبشرة من بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا ، أوتيت الواحدة منهن قدراً من الجمال يؤهلها حياة الترقى في أرقى المدن رفاهية ... تأتي المبشرة طيبة أو غيرها تعيش في القطاطي .. الواحدة منهن خص من البوص المطين ، تعيش الواحدة منهن على طعام

(١) أحمد ديدات من كتاب المختار الإسلامي - نقلاً عن مجلة الإصلاح الخليجية ، بقلم الأستاذ صفوت منصور .

الويكا - البامية المجففة - وتشرب من النهر مباشرة ، فليس هناك صناير للمياه ... ترعى أطفال السودانيات ، وتشرف على علاج الأطفال والإشراف على تغذيتهم ، في بيئات لا يرضى أن يعيش فيها السودانيون أنفسهم ، وتصبر الواحدة العام الطويل حتى تدعو إلى النصرانية .

يقول ديدات : « إن المسلم يملك هذا الدين ... يملك البرهان عليه ، وعليه أن يصحو ، ويعلم أنه يملك « جرافة » منحها الله إياه ، تحطم كل الصخور - صخور الأصنام والجاهلية - هي هذا الدين ، فعليه استخدامها لنيل العزة ، ولكن تصرفاتنا تدل على آلا عزة لنا في هذا العالم ، مع أن أصل العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » .

ويقول ديدات : « من مائة ألف صحابي حضرُوا حجة الوداع ، لم يدفن في المدينة منهم إلا عشرة آلاف ، أين ذهب الباقون ؟ فهموا معاني الشهادة والتبليغ للرسالة ، وانطلقوا في الآفاق يمتطون خيولهم وجمالهم ، ينشرون دعوة الله وبلغونها للعالمين ، أدركوا رسالتهم للعالم ، ولم يكتفوا بالجلوس في بيوتهم ومساجدهم يقيمون نصف الدين ويتركون النصف الآخر » .

إلى القابعين في منازلهم ... « كيفيكم أن تعرفوا أن عدد المنصرين (١٧) مليون شخص في جميع أنحاء العالم » .

ولعل من أهم مناظرات الداعية عالي الهمة أحمد ديدات ، مناظرته الشهيرة في أمريكا مع « المنصر الصليبي القس جيمي سويجارت ، صاحب الأحاديث التلفزيونية التي يشاهدها أكثر من مليوني شخص في الولايات المتحدة ، وتصل لأكثر من ١٤٠ بلداً واستطاع أن يحصل على أكثر من ١٤٠ مليون دولار سنوياً ، ويعتبر من أكثر المنصرين نفوذاً في

العالم»^(١) .

ولقد أفحمه - على مرأى من الآلاف - أحمد ديدات ، وفي المناظرة تناول على رسول الله ﷺ ، فأخزاه الله بعدها مباشرة « بفصائح مع المومسات في نيو أورليانز وفنادقها ، وقد دفع أموالاً للمومسات ؛ للقيام بأعمال داعرة ، واعترف بخطيئته أمام ثمانية آلاف شخص من أتباع كنيسته ، ونقلت الاعتراف كل كاميرات التلفزيون عبر الولايات المتحدة ، وأجهش بالبكاء وهو يقدم اعترافاته يوم الأحد ٢٠/٢١ قائلاً : ليست لدي النية بتأثا لنكران خطيئتي .. ولا أسمىها غلطة ... جريمة ... أنا أسمىها خطيئة ... كل من جلبت لهم الفضيحة والعار والإحراج ... السماح »^(٢) .

وصدق الله : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧] .

ثم يعاود عالي الهمة ديدات الكرة مع رأس الأفعى بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني ، ويدعوه إلى « حوار في لقاء علني في ميدان القديس بطرس في روما مقر البابوية ، وفي الوقت والزمان المناسب لقدسته .

ولما لم يرد البابا على تلك الرسالة ، عاود الشيخ ديدات الكرة ، وأرسل له ثلاثة خطابات أخرى وبرقية ، وهنا رد الفاتيكان مقترحاً إجراء مثل هذا الحوار في سكرتارية الفاتيكان وليس في مكان علني .

رد الشيخ ديدات على بابا الفاتيكان برسالة جاء فيها : « يسعدنا أنكم ترتبون للقاء معنا ، ولكننا نتمسك بأن يكون مثل هذا اللقاء علناً ، كما كان في خطابنا المفتوح إليكم ، والذي اقترحنا فيه مثل هذا اللقاء ، وذلك من أجل البلايين المؤمنة بالمسيحية والإسلام ، من أجل الحقيقة وإرضاء الرب ...

(١) ، (٢) من كتاب « أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن » كتاب المختار الإسلامي .

ومع هذا فيمكننا الالتقاء بكم حسب رغبتكم في السكرتارية ، ولكن هناك العديد من المسلمين في جنوب إفريقيا فقط ، والذين يصرون على حضور هذا اللقاء ، لذلك نرجو إفادتنا عن الإمكانيات المتاحة في سكرتارية الفاتيكان والخاصة بإسكان هؤلاء .

ونظراً لوجود آلاف آخرين ممن يرغبون في حضور هذا الحوار ، فإننا نطلب أيضاً تصريحاً بتصوير اللقاء بأجهزة الفيديو ، حتى تصل مناقشتنا إلى الملايين الذين يودون الاستفادة من الحوار .

« وبعد أكثر من شهرين من الانتظار تم إرسال برقيتين آخرين ؛ إحداهما إلى سكرتارية الفاتيكان ، والأخرى إلى البابا ذاته . وبعد شهر آخر تم إرسال برقيتين آخرين دون جدوى »^(١) .

لله دُرْك يا ديدات والله لا نقارن قلامه ظفره ببابا الفاتيكان .

ألم تَرَ أن السَّيْف ينقص قَدْرُه إذا قيل إن السيف أَمْضى من العصا

وعلى الطريق سار غازي وأخَوَاهُ :

فبدعوةٍ من بعض قساوسة السودان ومبشره ، وعلى رأسهم المبشر القسيس جيمس بخيت وتيخارمضان ومن معهما من القساوسة ، عقدت مناظرة استغرقت ستة أيام ... في كل يوم ثلاث ساعات متتالية ، في الفترة من ١٤٠١/١/٢٣ هـ إلى ١٤٠١/١/٢٩ هـ ، الموافق ١٩٨٠/١٢/١ م إلى ١٩٨٠/١٢/٧ ، بين ثلاثة من أعلام الفكر الإسلامي : الشيخ الدكتور محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد - الذي كان من أخطر القساوسة المصريين وأسلم - واللواء مهندس أحمد عبد الوهاب علي الذي شغل بمقارنة الأديان منذ أكثر من خمسةٍ وعشرين عاماً ، وبين القساوسة السودانيين وعلى

(١) أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن كتاب المختار الإسلامي ص ٥٥ - ٥٧ .

رأسهم المبشر القسيس جيمس بخيت ، وآمن جميع القساوسة والمبشرون المناظرون ، وأسلم بإسلامهم خمسمائة ^(١) .

والله عز وجل لا يضيع جهد الداعية الدكتور محمد جميل عازي ... الذي ربما ظل في الدعوة بعيداً عن أولاده خمسة شهور متوالية ، فرحمه الله وأجزل له المثوبة .

وهذا الداعية العظيم إبراهيم خليل أحمد ، الذي كان رأساً من رؤوس التبشير والكفر في مصر والعالم ، فإذا هو بعد إسلامه يجوب البلاد دعوة إلى الله عز وجل ، يتحدث في جامعة أسيوط سنة ١٩٧٦ ، فيقف بعد محاضراته سبعة عشر من شباب جامعة أسيوط ليعلموا إسلامهم بكل قوة وبكل جرأة .

يقول حفظه الله : « لقد شعرت أن الإسلام يفرض علي فرضاً ، وهو أن أحمل رسالة التبليغ ، وأن أدعو برسالة لا إله إلا الله » .

فهلا اتعظ الغافلون من المسلمين بسير الرجال العماليق ... وهلا آمن المبشرون الدجالون الذين يصدق عليهم قول المسيح لليهود : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ؛ لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً ، ومتى حصل تجعلونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً » .

فعلى كل مسلم أن يضع الدعوة إلى الله نصب عينيه حتى يأتيه اليقين .

ذكر توماس . و . أرنولد في كتاب « الدعوة إلى الإسلام » ص ٤٥٣ -

٤٥٤ أنه : « في إفريقية حكم البلجيكيون على زعيم عربي بالإعدام ، فقضى ساعاته الأخيرة وهو يحاول أن يدخل في الإسلام ذلك المبشر المسيحي ، الذي كان قد أرسل إليه ليزجي إليه التعزيات الدينية » .

(١) من كتاب « مناظرة بين الإسلام والنصرانية » طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

وذكر توماس ص ٣١٩ أن الشيخ حسن علي كان من الدعاة المتحمسين جدًا لنشر الإسلام ، فلما آن رحيله إلى الدار الآخرة بدأ يردد كلمات دعوية طالما قالها وهو يدعو الناس إلى الإسلام .

وعنه قال توماس . و . أرنولد : « وتجلت حماسته في نشر الدعوة ، حتى في آخر لحظة من لحظات حياته ، حين سمعه بعض الناس خلصة وهو يقول على فراش الموت : اترك دينك وصر مسلمًا » فلما سئل عن ذلك ، قال : « إنه يتحدث إلى المسيحيين » .

وهذا فاروق الإسلام ، وهو على فراش الموت لا ينسى الدعوة إلى الإسلام والدخول في السلم كافة .

روى البخاري ، عن عمر بن ميمون قال : « جاء شابٌ إلى عمر - رضي الله عنه - بعدما طعن ، وعرف الناس أنه ميت ، فقال رجل له : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ ، وقدم في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ثم شهادة . قال : وددت أن ذلك كفاف ، لا علي ولا لي . فلما أدبر فإذا إزاره يمس الأرض ، فقال : « رُدُّوا عليّ الغلام ، فقال : يا ابن أخي ، ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأنقى لرُبِّك »^(١) .

هذا عمر ... متكامل الشخصية .. في أخرج اللحظات وهو على فراش الموت ينهى عن إسبال الإزار للرجال ، فأين من يقول بأن الحديث عن هذا في واقع المسلمين الأليم الآن من علامات ضيق الأفق ؟! . ونختم بمسك الختام وصديق الأمة الأكبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فإن آخر ما قاله أبو بكر - رضي الله عنه - قبل انتقاله إلى رحمة الله

(١) صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان .

كما روى الطبري في تاريخه (٤١٤/٣) : « عَلَيَّ بعمر رضي الله عنه » فجاءه فقال له : « اسمع يا عمر ما أقول لك ، ثم اعمل به . إني لأرجو أن أموت من يومي هذا - وذلك يوم الإثنين - فإن أنا متُّ فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم » .

الله أكبر ... لله درك من صديق كان من الذين سمعه وبصره .
وفي هذا أسوة للدعاة الذين يريدون الآخرة ويعملون لها ...
ويعيشون بالإسلام وللإسلام إلى يوم لقاء ربهم ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] .

* * *